ميره المنصوري

السوائل و الكونية

رواية

الجزء I

ملهمون
MOLHIMON للنشر والتوزيع

◄ الكتاب: اَلْبَوَّابَاتُ اَلْكَوْنِيَّةُ
◄ المؤلف: ميره المنصوري
◄ التصنيف: رواية
◄ الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
◄ الطبعة الثانية: مايو 2023
◄ التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتاب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

◄ الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978-9948-04-103-0
◄ إذن طباعة: MC-02-01-7879429

إهداء

إلى أسرتي الصغيرة (عائلتي)

وإلى أسرتي الكبيرة دولة الإمارات العربية المتحدة،

وإلى كلّ من أسهم في صقل موهبتي و إرشادي،

أهدي هذه الرواية

الخطوة الأولى

ورقة ترويجية صفراء قديمة هي من بدأت هذا كله..

ورقة مدون عليها اسم جمعية (خطوات)...

كان أسوأ إعلان، لكنه أكثر جذبًا!

كلمة واحدة (خطوات) حوت ألفاظًا تسع الكون!

ورقة واحدة حددت مصيري وغيرت معالم حياتي للأبد!

اسمي ريم..... كنت جامعية.... كانت لديّ أحلام وردية.... كانت لديّ أسرة ومدينة وجامعة وكوكب...

لآخذكم إلى أول يوم؛ حيث بدأ هذا كله.....

استيقظت كالعادة متأخرة وحاولت أن أجهز بسرعة أحاول اللحاق بأول يوم لي في الجامعة. بعدما فرغت من الاستحمام وارتداء ملابسي وقفت أمام مرآتي، نظرت إلى انعكاس صورتي في مرآة غرفتي وظللت أرمق وجهي الصغير الدائري بذقن مدبب صغير، وأنف طويل حاد صغير الحجم، وشفتين متساويتين، تطلعت إلى عَيني البنيتين الناعستين التي تكحلهما رموش سوداء غليظة، مررت إصبعي الشاهدة على حاجبيّ المرتفعين المقوسين، بعدها رفعت حاجبي الأيسر وأبديت استحسانًا على جمالي وبشرتي الحنطية، وضعت مرطبًا للبشرة وواقيًا للشمس، رفعت شعري الأسود الناعم المنسدل على ظهري وسرحته كعكة فوضوية؛ ومن ثم ارتديت عباءتي رمادية اللون ووضعت الشيلة الرمادية على رأسي وخرجت من غرفتي.. «آه نسيت صلاة الفجر»؛ ومن ثم رجعت أصلي، وعندما فرغت خرجت مرة أخرى ورأيت أخي وأختي التوأمين نادر وأريام ذوي الخمسة

عشر ربيعًا يتناولان الإفطار مرتديين ملابسهما المدرسية، اختطفت شطيرة من يد أختي أريام وقفزت أجري هربًا ضاحكةً إلى مخرج البيت لألحق بأبي الذي ينتظرني خارجًا.

«أماه... ريم سرقت فطوري مرة أخرى». قالتها أريام أختي معترضة.

«متى ستعقل هذه الفتاة!» قالها نادر أخي، وهو يهز رأسه من جانب إلى آخر.

«ريم.. إلى متى مع عبثك الطفولي هذا!» قالتها أمي وهي تضحك، كانت جالسة بثوبها الأبيض الجميل على كرسي عند مدخل المنزل. قبّلتُ رأسها ونظرت إليها أرتشف من جمالها وعذوبتها وأنا أبتسم مكشرة عن أسناني. وجهها الصغير وعينها الحوراء الكحيلة التي تزينها حواجب شبه مقوسة مرتفعة، شعرها الأسود الناعم الطويل، أنفها الصغير وشفتاها الممتلئتان. احمر خدّاها الأبيضان وهي تضحك عندما باغتتني خدادية أسقطت حجابي وبعثرت شعري أطلقتها أريام خلفي... طبعًا رددت الصاع صاعين، وخرجت مهرولة عند سماع بوق سيارة والدي.

كنت ألهث عندما سلمت عليه وأنا أدخل السيارة أعدل من هندامي وقبلته على رأسه. نظر إليّ أبي بطرف عينيه وحرك السيارة إلى وجهتنا سائلًا: «هل شاكستِ أخويكِ؟».

أجبته: «إنها رياضة.. رياااضة صباحية».

«هممم... اعقلي يا بنتي وكفاك عبثًا فأنت جامعية الآن» قالها أبي متأففًا.

غصت في مقعدي محرجة، ونظرت إليه بتردد من دون أن أرد عليه. أنا نسخة منه في كل شيء إلا الشخصية، فهو جاد، جاد جدًا. أما أمي فهي رقيقة

جدًا تحب المرح، على الأقل إخوتي نسختها في الشكل والروح..

أمضينا الربع ساعة بصمت التهمت فيها الشطيرة وأنا أرقب المشاهد من نافذتي وأحمد ربي على اختراع الوسادات الهوائية، فقيادة السيارة أكثر سلاسة وهدوءًا من النموذج الذي كان مستخدمًا منذ ألف سنة. وصلنا إلى بوابة الجامعة الرئيسية حيث جمع من الطلاب والطالبات يخرجون من محطة القطار المجاورة للجامعة أو يترجلون من سياراتهم الهوائية..

«إلى اللقاء أبي... أراك بعد ثلاث ساعات» قلتها وأنا أترجل من السيارة وأنطلق شبه مهرولة إلى مدخل الجامعة وقلبي يطبل حماسًا، ما زالت الساعة الثامنة والنصف صباحًا. تتبعت علامات (الهيلوجرام) التي أرشدتني والطلاب إلى قاعة المناسبات للبدء في حفل الترحيب والبرنامج التعريفي..

انتهينا من حفل الترحيب، وتم شرح المواد والمساقات لنا التي سيبدأ التسجيل بها يوم غد، وتسلمت مذكرتي الإلكترونية وغيرها من بعض المواد المطبوعة والإلكترونية، ووضعتها كلها في حقيبتي.

خرجت إلى الساحة الكبيرة التي تضم ردهة المطاعم في المنتصف مع فوج الطلاب والطالبات الذين تبعثروا في اتجاهات واهتمامات مختلفة، أرقب ما حولي، لا أعرف أحدًا هنا. كنت أمشي كاليتيمة، إلى أن جلست على إحدى الطاولات أحاول تسجيل خريطة الجامعة في رأسي. تحوي الجامعة سبعة مبانٍ للكليات متوزعة على أطراف الجامعة بشكل دائري، تقبع ردهة المطاعم وجلسات

الاستراحة ومبانٍ مخصصة لدراسة الطلاب الفردية في المنتصف. قاعة المناسبات التي كنا فيها تتسع لتضم خمسة آلاف طالب بالتمام، وطاقم التدريس وغيره من العاملين في الجامعة. بجانبها مبنى ضخم للرياضات، يحوي قاعات رياضية مفتوحة ومغلقة مخصصة للطلاب وللطالبات كل على حدة. إن الجامعة ضخمة كمدينة صغيرة، أرى سيارات التنقل الشمسية تتحرك حاملة طلاب وطالبات يتنقلون بين المباني.. الجامعة كلها زُرعت فيها أشجار معلقة على الجدران والممرات وغيرها، منظر بهيج مريح، ابتسمت، مزيج من الحداثة والطبيعة. رن هاتفي الذكي، إنه أبي، قمت من مكاني وخرجت إليه وأنا أفكر بالمتطلب الإلزامي للجامعة؛ حيث طلبوا منا الالتحاق بإحدى الجمعيات التي تملأ الجامعة، ولكني ما زلت محتارة في أمري!

إلى أية جمعية يجب أن أنتسب إليها؟!

ويا إلهي... هذا المخلوق البدين الذي تكوم أمامي -لا تسألوني عن اسمه فأنا لا أعرفه- يحاول النهوض وعلى شفتيه ابتسامة حرجة، أما عن يديه فهما تضربان جسمه لنفض الغبار! نظر إلى الأمام وتابع سيره مطأطئًا رأسه.

تابعت سيري إلى مخرج الجامعة، المشكلة أني كنت أسير وراء ذلك الجسد -أقصد الرجل- لربما كان أحد الأساتذة هنا في الجامعة، لا أعلم!

المهم، وصلت إلى سيارة أبي وعدنا إلى المنزل.

طبعًا.. ماذا كنتم تتوقعون؟! أن تنفجر قنبلة في ذلك المبنى أو أن تحدث عملية إرهابية في الجامعة وأكون أنا الرادع والمبيد لها؟!

حسنًا حسنًا، لقد كنت قاسية عليكم.... لتعودوا إلى مساء ذلك اليوم.....

ما زلت أقلب في دفتري الإلكتروني الخالي، أتخيله مليئًا بالملاحظات والملفات وغيره، ما زال المشوار طويلًا، ولكن لا بأس، كل شيء يهون بإذن الله. سرحت بتفكيري، فما زلت لا أعرف توجهي ولا أعرف ماذا أريد، ماذا أريد أن أكون! نادر أخي يعشق علم الآثار، وأريام اختارت الإنثروبولوجي (علم الإنسان)، وكلاهما بدأ التخصص فيهما في مدرسته منذ سنتين، أما أنا فتائهة!

ظللت أقرأ وأفكر في احتمالاتي المستقبلية وما زلت على تصفحي للكتب والكتيبات التوضيحية والترويجية للجمعيات المتواجدة في الجامعة، يا إلهي.. إنه أسوأ إعلان هنا! ما اسم الجمعية؟! (خطوات)! يا له من اسم! ولكن ماذا تعلمه هذه الجمعية؟ مشية القطة؟!!

إعلان بورقة صفراء قديمة! من يستخدم هذه الأوراق الآن؟!

طوحت بالإعلان في مكان ما من غرفتي، ورميت بجسدي على السرير أرمق السقف، هكذا أطلق عقلي متحررًا من كل شيء.

كم مضى عليّ وأنا على هذه الحال؟! لا أدري!!

قفزت من على السرير حال تذكري أني قد نسيت أن أصلي العشاء.

كم الساعة الآن؟ أه.. إنها العاشرة مساءً.

صليت ونمت...

في صباح اليوم التالي كنت متوجهة إلى مبنى كلية العلوم مهرولة بسبب تأخري؛ لأستفسر بشكل واضح عن إحدى الجمعيات المتواجدة هناك، إنني مغرمة بالفلك؛ لذلك سأحاول الاشتراك بهذه الجمعية.

الازدحام بلغ ذروته عند باب الجمعية ولحسن حظي قد.... أغلق باب التسجيل بسبب الاكتفاء!!!!!! أحسست بخيبة أمل وبقيت أرمق باب الجمعية لمدة لا أتذكرها، حتى سمعت صوتًا أخرجني مما أنا فيه:

- «أتبحثين عن شيء يا آنسة؟».

رمقت الرجل الذي يُحدثني باستغراب؛ فقد كان متكومًا أمامي في الأمس تعلو شفتيه ابتسامة ثقة مخالفة لابتسامته السابقة! الذي أردف مجاوبًا لصمتي:

- «من الواضح أن باب التسجيل قد أغلق، ربما يمكنك الاشتراك في جمعية أخرى».

ومد إليّ بورقة صفراء ذات الإعلان نفسه عن (خطوات) وأردف قائلًا:

- «من الواضح أن هذا الإعلان قد رأيته في مكان ما، أليس كذلك؟».

هززت رأسي موافقة، فاتسعت ابتسامته وأغمض عينيه بسعادة قائلًا:

- «ربما كان بإمكانك الاشتراك في هذه الجمعية».

رمقته باستغراب وسألته بتردد وشك:

- «ولم أنا بالذات؟!».

- «ليس لسبب محدد، ولكنك واقفة هنا منذ ما يقرب الربع ساعة ترمقين الباب بنظرة خاوية، ولما كانت باقي الجمعيات قد أغلقت أبواب تسجيلها ما عدا جمعيتنا فقد رأيت أن أقترح عليك التسجيل في جمعيتنا».

حاولت التحقق من كلامه من خلال مراجعتي لتطبيق الجامعة على هاتفي الذكي، فتحت قسم الجمعيات، كلها مغلق التسجيل فيها!

نظرت إليه، من الواضح أنه أحد الأساتذة في جامعتنا، ولما كان ما يقوله هو وجه الحقيقة فلن أخسر شيئًا إن انضممت إليهم.

وقف الأستاذ يرمقني منتظرًا جوابي، فتنحنحت قائلة:

- «وما الذي تقوم به جمعيتكم؟».

ابتسم، وبدأ يمشي وأنا ألحقه، ومن ثم نظر إلي قائلًا:

- «الكثير... أتحبين الألغاز؟».

هززت رأسي أن نعم، فهز رأسه قائلًا:

- «حسنًا.. ربما يكون جل ما نقوم به حلها، والقيام بأشياء أخرى، مغامرة مثل: تحقيق، تجارب... إلخ».

راقتني الفكرة، وظلّلت أرمق الأستاذ وأنا أقلب فكرة التسجيل في رأسي، وبعد فترة من الصمت قلت له:

- «ولكني لا أعرف أين تكمن جمعيتكم».

فابتسم قائلًا:

- «سأدلك عليها».

مشيت وراء هذا الأستاذ -أو البروفيسور- كما هو مدون على بطاقة القميص التعريفية، إلى أن وصلنا إلى مبنى قديم الطراز من طابقين، لم أنتبه له سابقًا، يقع مندسًا بين بعض الشجيرات ومباني الجامعة، مبنى يتنافى بشكله مع ما حوله، كأنه أثر لحقبة مضت!

صعدنا درجاته، كانت ثلاثين درجة، ومن ثم دخلنا من المدخل الرئيسي إلى قاعة كبيرة ومرتبة جدًا، توجد مكتبة عامرة ملاصقة لجدرانها الأربعة، اقتادني البروفيسور إلى طاولة في منتصف القاعة، وبعدها تركني البروفيسور البدين في تلك القاعة

الخالية....

القاعة محاطة جدرانها برفوف مرصوص عليها العديد من الكتب أغلبها عتيق المظهر! تصل طول تلك المكتبة إلى السقف، الجو كئيب، ذو لون بني فاتح ورائحة القهوة الجاهزة، هدوء مثير للأعصاب.

«لم أت هنا للاشتراك، جئت فقط لألقي نظرة!».

خرجت مني هذه الجملة ولكني لم أجد ردًا من الباب الخشبي العتيق الذي دخل إليه البروفيسور...

«لقد اختفت المكتبات التي تحوي هذا النوع من الكتب منذ زمن طويل! كل شيء موجود افتراضيًا الآن!» تمتمت وأنا أرقب بعض الأرفف متعجبة من الكم الهائل من الكتب.

تأففت، استندت بذراعي إلى الطاولة، انتبهت لحظتها إلى آلة الكتابة العتيقة جدًا والراقدة في وسط الطاولة.

«عجبًا! ألا ينظفون المكان هنا؟!».

تعلو ذرات الغبار أزرار مفاتيح الأحرف... تابعت خط الغبار ونظري يرتفع إلى الأعلى تدريجيًا، عيناي تخترق ذرات الغبار الرقيقة المتطايرة ، التي تسبح في ضوء الشمس النافذ من النافذة الوحيدة في هذا المكان والقابعة فوق المدخل الرئيسي... طاولة وحيدة في منتصف هذه القاعة الضخمة، توجد كراسي مع طاولات صغيرة على زوايا المكتبة فقط... أرضية المكتبة طينية!

فجأة أحسست بهذا الشعور.. وكأن أحدًا يراقبك! شعور الماء البارد الزاحف على طول عظام ظهرك!! شعيرات جسدي واقفة متصلبة وأوتار أعصابي مشدودة!

أحسست بنغزات خلف رقبتي، حركت رأسي

للخلف قليلًا وأدرته لأرى من وراء ظهري.. قفزت من مكاني... اختنق الصوت في حلقي... كان هناك واقفًا، شاحبًا، مخيفًا، متشحًا بالسواد!!

إنه بالطبع ليس دراكولا، ولكن لربما كان ابن عمه!

الجو المخيم حوله يوحي بالرعب والغموض!

طويلًا جدًا، يقارب المترين!! ذو عرض لا بأس به، وجهه طويل، ملتحٍ بلحية خفيفة، حنطيّ البشرة، أسود العينين، وشعر رأسه رمادي، أنفه طويل حاد، وعيناه واسعتان مائلتان للحدة مخيفتان... حاجباه شبه مستقيمين، وأحدهما مرتفع أكثر عن الآخر.... الوجه عابس، يتطلع إليّ صامتًا مترقبًا... يبدو لي أنه في منتصف الأربعين أو أواخر الثلاثينيات من عمره..

- «آه.. هذا الدكتور أيمن».

قفزت مرة أخرى من الفزع، وإذا بالبروفيسور البدين منحشر بالباب حاملًا بعض الأوراق...

ظل الدكتور أيمن صامتًا ووجهه لا يعبر عن شيء.

- «أ- السلام عليكم دكتور أيمن.... ف- في الحقيقة كنت..».

قطع جملتي صوته العميق الخشن قائلًا: «وعليكم السلام... ما اسمك وتخصصك؟».

جمد عقلي لبرهة، ومن ثم نظرت إلى البدين ومن ثم إليه وأجبته قائلة:

- «اسمي ريم، سنة أولى، تخصص عام، لم أتخصص بعد...».

مط الدكتور شفتيه واتجه نحو الباب الذي كان البدين منحشرًا فيه، ودخل من غير أن يتفوه بأي كلمة أخرى.

أما أنا.. فلا أدري كيف لم أحمل الطاولة فوق

ظهري وأقذفها خلفه، أو ألقي آلة الطباعة القديمة جدًا فوق رأسه!

تنحنح البروفيسور البدين وابتسم بصفاء بعد أن رأى التعبير المضحك على وجهي من عينين متسعتين مندهشتين وأسنان ظاهرة مصطكة ببعضها!

- «اسمعي يا ريم، هذه بعض الأوراق، أريد منك أن تقرئيها اليوم وتعودي غدًا».

ومد إليّ بالأوراق التي التقطتها منه وأنا أقول له مرة أخرى:

- «ولكني لم آتِ للاشتراك».

وقبل أن أكمل جملتي خطفت بصري جملة عجيبة غريبة ومغرية للقراءة:

(إلى الأخت التي ستتسلم المنصب من بعدي، تحية طيبة وبعد).

- «آه.... تؤ تؤ تؤ... ليس الآن، اقرئيها الليلة وعودي إلينا غدًا».

نظرت إلى البروفيسور البدين مستغربة:

- «أي منصب هذا؟!».

- «كل شيء في أوانه يا ريم».

وظل يرمقني بابتسامته التي بدأت ألفها... لقد توضحت معالم البروفيسور أمامي، وجهه الطفولي الملائكي المتقدم في السن، خداه المكتنزان، احمرار وجنته البيضاء، جبهته العريضة، رأسه شبه الأصلع، عيناه العسليتان الصغيرتان الطيبتان وخطوط العمر التي طوقتهما، وحاجباه البنيان الملتصقان بجفنيه، أنفه وشفتاه الصغيرتان، وأخيرًا ابتسامته التي تدفع أي شخص إلى الابتسام... يبدو أكبر سنًا من الدكتور أيمن.. قد يلامس الخمسين عامًا.

هززت رأسي وتوجهت إلى باب الخروج قائلة له: «مع السلامة.. إلى الغد».

هز رأسه بالإيجاب وابتسامة أعرض من الأولى ترافقني وإياه خارجًا: «مع السلامة، في وداعة الله يا بنتي».

ابتسمتُ ابتسامتي الأخيرة وهممتُ بالانطلاق إلى ساحة الجامعة حيث ردهة المطاعم، توقفت فجأة بعد ثوانٍ قليلة والتفت قائلة: «ولكن..».

- «إلى الغد يا ريم».

كان صوته حازمًا باسمًا... صوته الهادئ العميق كأنه يتحدث من بطنه!

صمت وهززت رأسي أن نعم وأكملت طريقي، وبعد أن أصبحت على بعد 20 مترًا من المبنى نظرت إلى الخلف وقرأت لوحة (دار الكتب القديمة)... يا له من اسم غريب!... ابتسمت وتذكرت الدكتور أيمن والبروفيسور واللقاء الذي لم أفهم منه أي شيء، وابتسمت مكملة: «وشخصيات متناقضة عجيبة!».

توجد مكتبة أخرى في الجامعة تناسب عصرنا الذي نعيش فيه. لمَ توجد مكتبتان؟!

صمت لحظة وتمتمت وأنا أمشي «يتراءى لي أن الأيام القادمة، تحمل الكثير من المفاجآت في طياتها! ».

لم أعلم حينها أن اعتقادي كان يحمل في طياته بداية الحقيقة.....

البداية فقط.....

أنهيت غدائي وقمت بتجربة انتحارية بالتخلص من فتاة فضولية جدًا، جلست على أحد مدرجات

الكليات الخارجية المتعددة وفتحت حقيبتي، نظرت إلى الموضع الذي وضعت فيه أوراقي... أقصد الأوراق التي قدمها لي البروفيسور.. يا ترى.. لا أذكر ما اسمه، لربما كان يوسف.. المهم... وقبل أن تمتد يدي إلى تلك الأوراق، نظرت إلى السماء الزرقاء وخطوط الغيوم الناعمة ترتسم في جمال إلهي خلاق وإبداع يسلب الخواطر، دخلت إلى مساحة بصري امرأة في منتصف الثلاثينيات، تمشي نحوي باسمة، جميلة ممشوقة القوام، مهندمة الثياب، شعرها قصير إلى نحرها أشقر، خضراء العينين، شقراء الحاجبين، ذات أنف وفم دقيقين، تبتسم لي لتبرز الغمازة على خدها الأيمن، توقفت أمامي باسمة سائلة بصوتها الدافئ: «أتمانعين إن جلست ها هنا معك؟».

ابتسمتُ لها قائلة: «لا، تفضلي».

شكلها مريح؛ لسبب غريب انجذبت إليها دون أن أعرف عنها شيئًا، بدت متوترة... ابتسمت بتوتر بعد أن نظرت إليّ... تنحنحت وقالت: «إنها سنتي الأولى في الجامعة وأنا متوترةٌ جدًا».

ومن ثم أطلقت ضحكة خجلة عذبة....

- «سنتك الأولى؟!».

خرج مني هذا السؤال مندهشًا وفي ذهني تتسابق الأسئلة: كيف؟! إنها تكبرني بما يقرب.. ربما 20 سنة، أي بضعف عمري!!!

ابتسمت بتوتر قائلة: «أعاني شيخوخة متقدمة».

وصمتت فجأة، ثم همّت بالوقوف ناوية الرحيل عن هذه البقعة.أمسكتْ يدها فجأة، التفتت إليّ حزينة، ابتسمتْ إليها قائلة: «أنا اسمي ريم.. سنة أولى أيضًا».

أخرجتْ مُجلدًا أنيقًا من حقيبتي ولوّحته أمام وجهها ضاحكة: «وأنا في حالة من التخبُط لا أعرف ما عليّ دراسته».

توقفت برهة، ثم ابتسمت ورجعت جالسة على المدرج قربي، أمسكت بالطرف الاخر من المجلد ناظرة إلى المعلومات والأشكال التي بداخله... نظرت إليّ ومن ثم غمزت إليّ قائلة: «توقعي.. أنا أيضًا لا أعرف ما عليّ فعله!!».

ثم سألتني: «هل تعرفين أيًا من الطلبة في هذه الجامعة؟».

أجبتها: «لا فأنا جديدة على هذه المدينة».

أمالت رأسها جانبًا ومن ثم قالت لي: «أنا لا أعرف أحدًا».

صمتت قليلًا، ثم نظرت إليّ فجأة قائلة: «ما رأيك بأن نختار المواد الأساسية؟».

.. وهكذا قضينا ساعتين كاملتين نتناقش في المواد والمساقات حتى اخترنا أكثرها تشويقًا وما حسبناه سهلًا، افترقنا بعد صلاة العصر وبعد أن تم تسجيلنا في الفصول الدراسية نفسها للمساقات.

كنت أمشي إلى بوابة الخروج رقم 5 التي تطل على ردهة المطاعم، شخصت بنظري إلى «دار الكتب القديمة» العتيقة وتنهدت قائلة: «لقد كان يومًا حافلًا عجيبًا بحق».

لم أعرف أنها كانت مجرد سطور لبداية جديدة جدًا في حياتي...

كانت بداية البداية.....

في الغرفة المربعة التي يحتلها سرير عرضه متر

ونصف المتر، ذو فرش أزرق سماوي، وأثاثه من الخشب الماهوجني، ستارة زرقاء، ومكتب مقابل السرير. تجلس على المكتب بطلة قصتنا ريم....

لقد فرغت من عشائها... وقبل خمس دقائق فرغت من صلاتها، منكبة على أوراق المساقات الدراسية والجدول تتطلع إليها.. أقامت ظهرها ورأسها للأعلى متثائبة: «وجامعية أخيرًا».

ابتسمت، وقفت، حملت تلك الأوراق التي أعطاها إياها البروفيسور يوسف.

أطفأت نور الغرفة من خلال هاتفها الذكي واكتفت بنور مصباح المنضدة الذي بجانب السرير... دفنت رجليها تحت الأغطية وأسندت ظهرها إلى الوسادة...

نظرت مرة أخرى إلى الأوراق متنهدة: «أخيرًا جاءت «الليلة»».

«بسم الله»... وبدأت تقرأ الأوراق، أو بالأحرى الرسالة....

إلى الأخت التي ستتسلم المنصب من بعدي...

تحية طيبة وبعد...

أفهم الآن أنك قابلت العقلين المدبرين والمديرين والمحافظين على جمعية «خطوات» بكل ما تحمله الكلمة من غموض وغرابة... هما لن يعلماك مشية القطة ولا خطوات الرقص.. إنما سيعلمانك خطوات نحو الحياة وتجاه الحياة...

اسمي لا داعي له... لأنه كلما يتخرج واحد منا نكتب رسالة لمن يخلفنا...

إنك لن تتولي منصبًا أو مملكة، لكنك ستتولين حل ألغاز وغموض ومشاكل لربما كانت بالعادية، لغز بعد لغز.. وخطوة بعد خطوة.. ستكبرين وتنمين

وسأؤكد لك يا أخيتي العزيزة أنك لن تندمي على هذا الشيء.. ما ينتظرك تعليم أكثر، ورؤية أكبر، ومستقبل مشرق...

إذا كنت قد أكملت الرسالة إلى الان فأنت تمتلكين الفضول لمعرفة الغموض الكامن في معانيها...

غدًا... ستلتقين بالاثنين معًا (أقصد الدكتور أيمن والبروفيسور يوسف) وستسمعين الدكتور أيمن للمرة الأولى يتحدث حديثًا مطولًا..

إن غدًا لناظره قريب...

أخيتي... إن انتسابك لخطوات إنما هو التزام بأنك ستكملين دربك معهما...

وإن كنت خائفة أو لست بواثقة من أي شيء، أو من مصداقية هذه الرسالة فأدعوك لأن ترميها الآن...

أخيتي... لك أن تتخيري الفريق الذي ترتئينه الأنسب لحل المشكلات..

لك أن تتخيري الأساليب..

ولكن اعلمي يا أخيتي إن لم يكن هدفك الأساسي في الحياة هو الله، فانسي الاشتراك في هذه الجمعية...

لربما ستلتقين بي في عامك الثاني أو الثالث في الجامعة، وحينها تكونين قد كونت فكرة جيدة عن (خطوات).....

المهمة والهدف ستعرفينه غدًا...

غدًا يجب أن تكوني في الجامعة في السابعة صباحًا، أي ساعة قبل بدء الدوام الرسمي للمساقات والفصول... كوني في مكتبة (دار الكتب القديمة).

مرة أخرى أقول لك: ستتعلمين وستدركين أكثر من مثيلاتك في الجامعة بمجرد التحاقك بـ(خطوات).....

أعلم أنك في داخلك حائرة.. لا تعرفين ماذا تريدين، لكن قريبًا.. هذا سينتهي، وستبنين أهدافًا تتجاوز أحلامك..

نصيحة أخوية.. ثقي بالاثنين وتماسك الفريق، واجعلي ثقتك بالله وبنفسك هي الأولى، أما المستحيل كلمة جعلت لتتحول إلى «ممكن».....

مع تحياتي.. أخوك

تبع الرسالة ختم، شكل مفتاح قديم بدائرة وكتاب.. وضعت ريم الأوراق وتطلعت إليها بصمت...

هل هذه مزحة أم...؟؟؟؟

.... غدًا ... سنرى غدًا ...

و كيف عرف المرسل أن من سيقرأ الرسالة هي طالبة وليس طالبًا؟؟!!

وضعت ريم رأسها على الوسادة، لم تنتظر ثواني حتى تنام، ولكنها سافرت فوزًا إلى أرض الأحلام؛ حيث حلمت بالدكتور أيمن مرتديًا ملابس دراكولا يلاحقها وأنيابه ظاهرة، وهي تهرب على السلالم لتقفز إلى كرش البروفيسور يوسف وتطير إلى أحد الرفوف وتختبئ وراء أحد الكتب..

لدار الكتب القديمة..

الكتب التي ستبدأ حكاياتنا منها....

حكايات لها بدايات ونهايات...

يا لهذا الصوت المزعج!..

ترددت تلك الفكرة في ذهن ريم...

فتحت عينيها ببطء لتستوعب الصورة التي أمامها...

أجفانها ثقيلة وتستطيع بالكاد أن تفرق التصاقهما

ببعض..

تأففت مرة أخرى ومدت يدها لتلمس مصدر الإزعاج..

يا لهذا المنبه.. ذكروني أن أبدله اليوم.. إنه مزعج جدًا..

جلست ريم على السرير بتكاسل والمنبه راقد بين يديها بعدما ألجمت صراخه..

نظرت إلى الساعة.. إنها الخامسة صباحًا.. تثاءبت، مطت جسدها ووضعت المنبه على منضدة السرير.

«أصبحنا وأصبح الملك لله الواحد القهار، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

بعد هذا الدعاء نهضت ريم متثاقلة من السرير، أمسكت بالفوطة من على علاقة الملابس واتجهت إلى الحمام وبدأت بطقوس الصباح... من الاستحمام والصلاة والاستعداد للجامعة....

بعد أن فرغت ريم من طقوس الصباح جلست في صالة منزلهم تنتظر عودة والدها من المسجد لكي يوصلها إلى الجامعة، فمن عادة والد ريم أن يظل في المسجد بعد صلاة الفجر يقرأ القرآن حتى بزوغ الشمس.. نظرت ريم إلى الساعة، إنها السادسة والنصف.. لم يأت أبي بعد! أسندت ريم رأسها بتثاقل إلى يديها وهي ترمق الباب، بعد دقيقتين سمعت خطوات أحدهم (أبوها بالتأكيد)....

أدير مقبض باب المنزل ودخل والدها وتوقف يتطلع إليها باستغراب!..

- «ريم.. إنها السادسة والنصف، لم أنت هنا الان؟!»

- «أريد الوصول إلى الجامعة بوقت مبكر، لديّ عمل أنجزه قبل الثامنة وقبل بدء ساعات الدراسة».

تنهد والدها قائلًا: «حسنًا هيا».

نهضت ريم لاحقة والدها إلى الخارج، حيث ركبا في السيارة التي ارتفعت بفعل الوسادة الهوائية وانطلقت تجاه الجامعة.

تطلعت ريم إلى الدنيا خارج زجاج السيارة، ما زال الوقت باكرًا، ولكن انتابها إحساس جميل بطعم الصباح الباكر حيث الدنيا والخلائق الأخرى مستيقظة ساعية في رزق الله.. ابتسمت ثم طفقت تدعو أدعية الصباح..

التفت إليها والدها ورآها تبتسم.. ابتسم قائلًا: «خيرًا إن شاء الله».

ابتسمت له قائلة: «كنت أستمتع بالمناظر الجميلة في الخارج يا أبي».

- «جميل.. سبحان الله!.. حسنًا يا ريم.. لقد أصبحتِ فتاة جامعية وحان موعد حصولك على رخصة القيادة، فمواعيد جامعتك ونشاطاتها ستكون مختلفة عن مواعيد عملي ومدرسة إخوتك».

هزت ريم رأسها أن نعم، قائلة: «حسنًا يا أبتِ، سنذهب في عطلة نهاية الأسبوع لنقوم بالإجراءات».

- «أفضل أن تأخذي امتحان تحديد المستوى العملي، فأنت تعرفين كيف تقودين السيارة منذ سنتين؛ حيث كنت تقودين في البر معنا».

ابتسمت ريم، وتذكرت المواقف المضحكة حينما كانت تقود السيارة ذات العجلات وسيارة الوسادة الهوائية لأول مرة في حياتها...

قطع حبل أفكارها دخول الجامعة مرمى بصرها.. اعتدلت في جلستها وتفقدت حقيبتها كتدبير احتياطي أخير أنها لم تنس شيئًا....

توقف أبوها عند البوابة رقم 5.. نزلت مودعة له،

واتجهت إلى بوابة الجامعة حيث تزامنت بطاقتها الجامعية مع البوابة لتنفتح وتعبرها بعدما تأكدت من هويتها كطالبة...

قطعت ريم البوابة إلى ردهة المطاعم إلى المبنى العتيق لدار الكتب القديمة.. تطلعت إلى ساعتها.. السابعة إلا خمس دقائق.. كان قلبها يقفز ويدق بعنف كلما تحرك مؤشر الثواني.... بسملت واستمرت بمشيها إلى المبنى، بدأت معدتها بالتلوي، وانطلقت الفراشات التي فيها بالتراقص داخلها عندما تجاوزت المدخل الرئيسي للمكتبة إلى القاعة الرئيسية حيث الأرفف المرصوصة والطاولة العتيقة الحاملة لآلة الطباعة العتيقة...

توقفت ريم عند الباب.... جو الكآبة والغموض نفسه، ولكن الإضاءة هذه المرة أخف مما كسا المكان بعنصر تشاؤم أقوى!....

تنهدت ريم ودخلت قائلة: «السلام عليكم..».

لم تسمع ردًا.

- «السلام عليكم... دكتور أيمن... بروفيسور يوسف... هل أنتما هنا؟».

لا جواب أيضًا!.. تقدمت إلى الطاولة وجلست متطلعة مرة أخرى إلى الكتب التي على الرفوف... نظرت ريم إلى ساعتها..

إنها السابعة و5 دقائق.. أين هما؟! بقدر ما أريد أن أعرف التفاصيل بقدر ما تريد رجلي الفرار من هذا المكان.....

انتظرت جالسة لمدة 15 دقيقة. ضغطت على مفتاح حرف الراء في الطابعة وطفقت أضغط عليه

عابثة والالة تصدر احتجاجها على فعلتي بعد أن رقدت سنوات من دون إزعاج وتطلب أحدًا...

يتردد صوتها المعدني الحاد ليملأ صراخها المعدني أرجاء القاعة دون مجيب.. مللت من العبث بالالة... تأففت ودفعت بالكرسي إلى الخلف واقفة، وتحركت إلى الباب الصغير في طرف القاعة..

وقبل أن أصل إلى الباب تناهى إلى مسامعي صوت جلبة من وراء الباب المقفل.. توقفت قليلًا وقلبي تتسارع دقاته.. هدوء فقط.. فقط هدوء من بعد تلك الجلبة.. مددت يدي المرتجفة إلى مقبض الباب، أدرت المقبض بهدوء متوتر وفتحت الباب الخشبي العتيق ببطء، وصرير يصدر من حركة الباب محتجًا على إيقاظه في الصباح الباكر..

رأيته هناك... في منتصف ممر طويل.. كالعادة مكومًا على الأرض، يعلوه الغبار والأوراق، وتتناثر الكتب والأوراق وأشياء أخرى مختلفة الأشكال تعلوها الغبار.....

- «بروفيسور يوسف! ما الذي تفعله متكومًا مع هذه الأوراق على الأرض؟! ولم المكان يعجه الغبار دائمًا؟! أهو بهذا القدم؟! أم أنكم لا تنظفونه أبدًا؟!».

تطلع إليّ البروفيسور بعد أن أجفلته، واعتدل في جلسته على الأرض وعدل من وضع نظارته - التي لم أرها بالأمس- على أنفه.... تنحنح ورمقني بنظرة حرجة وابتسم قائلًا: «صباح الخير ريم أولًا... بل الأفضل السلام عليكم... هذه الأسئلة الكثيرة في الصباح الباكر لا أستطيع استيعابها قبل شرب فنجان قهوة الصباح».

تنبهت إلى قلة ذوقي واعتذرت خجلة مطأطئة رأسي.

«ريم.. هلا بحثت معي عن ورقة تحمل عنوان

الأدب الخيالي والعجائبي وما يسميه البعض فانتازيا؟»

هززت رأسي أن نعم، تقدمت إلى داخل الممر متجاوزة بابين مقابلين لبعضهما ووصلت إلى حيث الفوضى حول البروفيسور يوسف وانحنيت للأرض أبحث بين الأوراق المغبرة والكتب... أمسكت جهازًا قديمًا.. أذكر أنه يدعى بالأسطرلاب، رفعته إلى الأعلى، نفضت الغبار عنه ومن ثم نظرت إلى البروفيسور يوسف الذي كان منكبًا على ورقة يقرأها قائلة: «كيف لأداة عمرها قرون أن تتواجد هنا؟!».

نظر إليّ وحاجباه منعقدان، ثم رجع إلى الورقة التي كان يقرأها: «لدينا من الأدوات والمعلومات والكتب ما سيدهشك».

نظرت إليه وإلى هدوئه المطبق واندماجه السريع بالورقة التي بين يديه، سألته: «هل وجدتها؟».

أجاب باقتضاب: «نعم».

صمت وطال صمته دقيقة كاملة وأنا أنظر إليه مترقبة، فرغ من قراءة الورقة ونظر إليّ باسمًا وقال: «هيا بنا، علينا أن نجد الدكتور أيمن».

- «نجده؟! لماذا؟! أين هو؟!».

- «لا أدري!».

- «كيف لا تدري؟!».

- «لربما تاه مرة أخرى!».

- «تاه؟!».

- «حسنًا.. هيا بنا إلى المجلس لنفهم ونناقش الموضوع».

- «المجلس؟!».

- «نعم، هيا بنا».

وقام من موضعه متجهًا إلى باب اخر ولحقته... وتوقف فجأة قبل أن يدخل إلى الباب ليشير إلى بابين مقابلين لبعضهما في بداية الممر: «بالمناسبة، مكتبي ومكتب الدكتور أيمن هناك».

هززت رأسي أن نعم، ومن ثم رجع البروفيسور يوسف أدراجه إلى مكتبه وأنا أتبعه لنضع كافة الأوراق والكتب وغيرها من الأشياء على طاولة مكتبه الخشبي الذي يتوسط مكتبه، ومن ثم خرجت أتبعه إلى الباب في نهاية الممر...

حينما ذكر البروفيسور يوسف موضوع التوهان ظننت أنه يمزح!

فبمجرد أن تبعته، تبين أن الشخص، أي شخص، سيتوه حتمًا بين جدران مكتبة (دار الكتب القديمة).

فما نراه خارجًا.. لا يعكس أدنى فكرة وحقيقة عما نراه ونعايشه في الداخل...

إنه عالم آخر.. مملوء بالمتاهات!..

وإذا لم أتبع البروفيسور يوسف، لكنت تهت حقًا، فمن باب إلى باب، ومن قاعة إلى غرفة معدات إلى ممرات إلى سلالم ومدرجات، إلى حديقة يعلم الله موقعها في المبنى و «آآآآه»!

انطلقت مني هذه الصرخة، والأرض ترتفع من حولي.. ولكن لحظة.. أنا التي أسقط!

انتبهت لهذه الحقيقة في أقل من ثانية.. هل كنت أسقط في بئر؟! لا أدري! المهم أن أطلق صفارة الإنذار البشرية «آآآه» ♫ وطاخ... ♫

ارتطمت بقوة على شيء لين رطب لا أعرف كنهه، وذرات الغبار تتطاير وتهطل على رأسي وعلى المكان الذي سقطت عليه...

ظهري للأسفل... آخ... ورأسي أحسه ينتفخ والاف المطارق تدق فيه... آخ جسمي... فتحت عيني .. كنت خائفة... هل أصبت بالشلل؟؟!

ظللت أرمق السقف... السقف؟! يا إلهي إني أرمق سقفًا صخريًا والفتحة العمودية التي هبطت منها محفورة في منتصف السقف وأنا أقبع تحتها؟! ذلك التجويف أو النفق الأفقي الذي سقطت منه...

أيوجد كهف أسفل الدار؟؟!!

تردد السؤال في ذهني وأنا أحاول تحريك أصابع أطرافي والتأكد من سلامتها.. لا شيء مكسور على ما أظن.. كل شيء سليم... الحمد لله.. حاولت الجلوس ببطء.....

طبعًا لم أسمع سوى قرقعة وطقطقة بسيطة لعظامي وعضلاتي تئن... جلست والغبار يغطيني كأني وحش خارج من فيلم سينمائي مرعب.. نظرت حولي.. ما أراه هو قاعة أو ساحة صخرية مساحتها ما يقرب 5 أمتار مربعة!....

الصخور ذات لون برتقالي مائل للحمرة تتخللها صخور رمادية..

والعجيب أن هناك ما يقرب أربعة المشاعل في كل جانب، فهذا الكهف أو المكان الذي لا أعرف كنهه قاعة مضيئة.. طبعًا لم يظهر لي الوحش الخرافي والسحري، لكني وقفت على رجلي ونفضت أكوام الغبار من فوقي...

تحسست ساعة معصمي الإلكترونية «يا ترى كم الوقت الآن؟! وكيف سأخرج بهذا المنظر؟! وكيف سأحضر المحاضرة بهذا الهندام؟!».

شهقت: «يا إلهي.. لقد انكسرت! ماذا سأفعل الآن وأنا بعيدة كل البعد عن معرفة الوقت؟!».

نظرت حولي ومن ثم للأعلى حيث الفتحة.

- «بروفيسور يوسف... بروفيسور يوسف.. بروفيسووووور».

ردد الكهف صدى صوتي ومناداتي، ولكن للأسف لا أثر ولا صوت للبروفيسور يوسف..

يا ترى ما الذي حدث؟! ألم يشعر باختفائي؟! أمن المعقول أنه لم يسمع صرخاتي؟!

وقفت والخوف يتسلل إلى قلبي.. لا دكتور أيمن ولا بروفيسور يوسف ولا ساعة؟! يا إلهي.. لقد تركت هاتفي الذكي في حقيبة الجامعة، هذا درس لي حتى أجعله معي دائمًا أو أضبط ساعتي لتكون هي أداة اتصالي.. ما الحل؟! ماذا أفعل؟!

تطلعت حولي للجدران الصخرية والفتحة من فوقي.. لا بد من طريقة للخروج، وحينما أخرج هل سأستدل على طريق العودة؟!

ريم ركزي.. أبعدي الخوف.. فكري.. ما الحل؟.. لا بد من مخرج.. نظرت إلى المشاعل، حاولت العبث بكل واحدة فيها ولكن لا فائدة.. تحركت أفحص الصخور وقلبي يتراقص خوفًا... أمن المعقول أن لا يوجد مفتاح للخروج من هذا المكان؟!.. وأنا أتلمس الصخور إذا بيدي تدفع شيئًا صخريًا.. هذا الشيء الصخري أصدر تكة غريبة!..

تسمرت في مكاني.. تراجعت للخلف.. ارتج المكان قليلًا مع انزلاق الجدار الذي أمامي لليمين كاشفًا ممرًا صخريًا صغيرًا ذا مشاعل أيضًا..

- «ما هذا المكان؟!.. ما الذي يحدث هنا؟!».

سميت بالرحمن وانطلقت أتحرك ببطء وترقب.. الغريب أيها السادة أنه لا توجد حشرات ونحن على ما أعتقد على عمق 15 مترًا من سطح الأرض وفي

محيط صخري..

لحظة.. لقد سقطت على شيء لين رطب... التفت إلى الوراء.. لم أر شيئًا!! مما زاد فزعي.. فتحركت بسرعة للأمام وإذا بسلالم صخرية ترتفع للأعلى.. ركضت عليها فرحة.. إنه المخرج بالتأكيد.. ركضت مسافة 50 مترًا حتى وصلت إلى مخرج مظلم... وصرخت..

أطلقت أول صرخة رعب.. لكنها لم تكن الأخيرة...

جلست أحلام صديقة ريم الجديدة وهي تقلب صفحات المساق الجديد في مذكرتها الإلكترونية.. «يا ترى لمَ تأخرت ريم؟!».

تساءلت وهي تنظر إلى الساعة التي تشير إلى السابعة والعشرين دقيقة..

كانت جالسة على إحدى طاولات ردهة المطاعم الخارجية ترمق الطابق الثاني للمبنى القديم (دار الكتب القديمة) الظاهر من بين الأشجار..

لم لم يتم تجديد مبنى كهذا في جامعة متقدمة كهذه؟!

انطرح التساؤل من قبل أحلام الذي بقي دون جواب، وأحلام ترمق المبنى الذي تاهت صديقتها ريم بين جنباته.. في هذه اللحظات ذاتها، لم تدرك أحلام أن صديقتها تعيش أولى لحظاتها مع جمعية خطوات، وكانت تلك البداية.....

تسمرت بعد صرختي هذه، كان يحمل شمعة بعيدة عن وجهه المظلم ذي الظلال... ابن عم دراكولا

نفسه.. بطوله.. و.. و.... وسمنته!! لم يفهم عقلي المفارقات بالإضاءة المتولدة من شمعة الدكتور أيمن!...

كان واقفًا أمامي دون حراك ودون أي ردة فعل لصرختي، وقف عابسًا مقطبًا حاجبيه لمدة ومن ثم تحرك فمه ليخرج صوتًا مخيفًا غاضبًا: «لهذا لا أحب التعامل معهن، إنهن صفّارات إنذار قابلة للانطلاق في أية لحظة!!».

لم أفهم كلامه ولم أستوعب جملته، أو بالأحرى من كان يخاطب بها، حتى انفصل بطن الدكتور أيمن المنتفخ عن باقي جسمه؛ ومن ثم تبينت أن تلك الفقاعة المنفصلة ما هي إلا البروفيسور يوسف!... تنحنح البروفيسور يوسف قائلًا: «هل أنت بخير يا ريم؟».

استغربت من سؤاله، بل لقد غضبت، كيف يجرؤ على تركي في مكان ما.. في كهف ما.. دون مساعدة.. كيف؟!

- «بخير.. كيف؟! لقد تركتني ومن دون أن تطمئن عليّ، حتى أنك لم تنادني باسمي!».

- «امممم.. أعتقد يا ريم أنك قد غبت عن الوعي لفترة وقد وجدت الدكتور أيمن وجئنا للبحث عنك».

- «البحث عني؟! أتعني أنك أيضًا لم تكن تعرف كيف تجدني؟!».

قلت هذا غير مصدقة ما أسمعه.

اندس وجه البروفيسور يوسف خلف ستائر الظلام، ولهب الشمعة يلقي ظلالًا مرعبة على المكان والوجوه والأشخاص، حينها نطق الدكتور أيمن بصرامة أخافتني:

- «هيا بنا الان... لقد تأخرنا بما فيه الكفاية..».

بعد هذه الجملة انتبهت أنه عليّ اللحاق بالفصول الدراسية لأول يوم.. صمت بعد أن صدمتني الحقيقة، أتمنى أن تكون الساعة لم تصل إلى الثامنة بعد...

دار الدكتور أيمن حول نفسه وانطلق يمشي والبروفيسور يوسف خلفه، وقد تبعتهما في مشيهما البطيء والحائر!

غريبة.. يبدوان تائهين أيضًا! أهذا معقول؟! لأسألهما: «ألا تعرفان طريق العودة؟».

نظر إليّ البروفيسور يوسف وجبهته تتصبب عرقًا وهو يحاول جاهدًا أن يمسح القطرات الساقطة والمتجمعة بمنديله.. لقد لاحظت حاجبيه المنعقدين بخوف وتوتر، أما الدكتور أيمن فلم يلتف إليّ، بل لم يتفوه ببنت شفة ومضيت أمشي خلفهما صامتة مترقبة....

إن هذا المكان غريب....

غريبًا جدًا!.....

«باقي 20 دقيقة وتبدأ المحاضرة، أين أنتِ يا ريم؟!».

تمتمت أحلام بهذه الكلمات وهي تبحث ببصرها بمحاولة يائسة بين جموع الطلاب لعلها ترى صديقتها ريم.. إنها لا تجيب على هاتفها المتحرك أيضًا..

«أيجب عليّ أن أتصل بمنزلها؟! اه.. لا أعرف رقم منزلها أيضًا».

تأففت ورمت برأسها للخلف وطفقت تتطلع إلى

السماء وغابت في تفكيرها.. لكل واحد عذره، فبالتأكيد عذرها قوي...

صحيح يا أحلام.. عذر ريم قوي...

قوي جدًا....

«ما الذي يجري بالضبط؟! وما قصة هذا المكان؟! من الرسالة قد فهمت أنكما المؤسسان لجمعية خطوات، ولكن أمن المعقول أنكما لا تعرفان كيف تتحركان بين جدران مبناكما؟!».

نطقت ريم بهذا التساؤل بعدما طفح الكيل عندها، وقد مشوا ما يقارب 15 دقيقة ولم يصلوا إلى أي مكان، ما يحيط بهم سوى الخنادق والكثير الكثير من الممرات...

توقف الدكتور أيمن والتفت إلى ريم قائلًا:

«إن هذا المكان قديم، قديمًا جدًا، وما يزال لغزًا نحاول حله منذ سنين، وكلما كشفنا لغزًا تأتي آخر... كسلسلة تأبى النفاد».

وافق البروفيسور يوسف بإيماءة من رأسه وقال:

«نعم يا ريم... المبنى وكل ما فيه أشبه بقطع صغيرة للوحة كبيرة، كلما وجدنا قطعة ظهرت أمامنا مئات الأخريات من اللوحات، كل لوحة بقصة ولون، بأسلوب يختلف عن الأخرى».

رمقتهم بدون أي رد فعل.. كنت أحاول الفهم.. استنشقت الهواء المكبوت للمكان وأخرجته ببطء، لعلي أهدئ من روعي، ومن ثم سألتهما: «وما دوري في كل هذا؟!».

ابتسم البروفيسور يوسف وفرد ذراعيه قائلًا: «المشاركة».

رفعت أحد حاجبي استغرابًا وفردت يديّ بجانب جسدي سائلة:

«كيف؟ كيف؟ في أي لغز نحن؟ ما موضوعه؟ ما القصة؟ ما كل هذا؟! وفوق كل هذا لديّ محاضرة يجب عليّ حضورها، هذا وأظن أنها بدأت».

بعد هذه الكلمات مظ الدكتور أيمن شفته، ومن ثم أكمل سيره وهنا.. لم أتحمل تجاهل ابن عم دراكولا، تقدمت وتجاوزتهما، ومن ثم وقفت أقابلهما بجسدي، توقف الدكتور أيمن وهو عاقد حاجبيه.. يبدو أنه لم يزق له موقفي هذا، ولكن لا يهم، أريد أن أفهم ما الذي يجري هنا.. بدأت كلامي موجهة له... إلى الدكتور أيمن..

- «اسمع يا دكتور... فلاد!!».

وتوقفت ريم تستجمع قواها ونفسها مرة أخرى...

رفع الدكتور أيمن حاجبيه بدهشة غير مصدق وهو يقول بنفسه: *فلاد دراكولا... أبهذا ستسميني هذه الطفلة؟!*

أكملت ريم قائلة وهي تلهث من فرط انفعالها وتوترها: «يجب علينا أن نتكلم، نتفق، أنا لم أفهم بعد ما الذي يجري!».

أخذتْ نفسًا آخر ومن ثم أكملت كلامي قائلة:

«أولًا: المبنى عبارة عن متاهة حقيقية، فحجمه ومظهره الخارجي لا يعكس حقيقة المتاهات المتواجدة في داخله.

ثانيًا: أنتما مؤسسا جمعية خطوات المهتمة بحل الألغاز.

ثالثًا: بالرغم من قدم الجمعية وكون هذا المكان مقركما فأنتما لا تعرفان الكثير عنه!

رابعًا: انتقاؤكما لي كي أصبح صاحبة «المنصب»!

خامسًا: يجب أن أحل ألغازًا وأختار وأنتقي من يساعدني.

سادسًا: ونحن في هذا الوضع لا أعرف ما الذي علينا فعله لكي نخرج من هذه المتاهة.

سابعًا: من بنى (دار الكتب القديمة) أصلًا؟.

زفرتْ بقوة بعد أن فرغتْ من كلامي.. ابتسم الدكتور أيمن! إنها المرة الأولى التي أراه يبتسم فيها، وقد تغير شكله بشكل كبيرًا جدًا إلى إنسان بشوش، هذا الخليط مستحيل، فلاد وبشوش؟!

قال الدكتور أيمن بعد ابتسامته:

«اسمعي يا ريم، علينا الآن أن نخرج من هذه المتاهة؛ ومن ثم نتحدث في شأن جمعية خطوات، المهم أن تصلي إلى محاضرتك في وقتها».

ومن ثم تلفت حوله قائلًا وقد اختفت ابتسامته وعلت وجهه ملامح العبوس التي أعرفها وألفتها: «يجب أن نجد مفاتيح للخروج».

هززت رأسيًا قائلة: «نعم... في الحقيقة الممرات الوحيدة ذات الإضاءة والمشاعل هي تلك التي جئت منها».

توقفت فجأة وقد انتبهت إلى حقيقة مفادها أن المشاعل تحتاج إلى (أحد) حتى تشتعل وتبقى مضيئة، فمن يا ترى الذي كان يوقدها؟! نظر الدكتور أيمن والبروفيسور يوسف إليّ مستغربين، فشاركتهما ما يجول بخاطري، وأضفت قائلة:

«كما أنني عندما سقطت من تلك البئر أو الحفرة سقطت على شيء رطب، ربما كان رخؤا حيًا، لكني لم أجد أحدًا بعد ما تحركت من مكاني! كما أنك يا بروفيسور يوسف تقول إنني فقدت الوعي لفترة قصيرة، وإذا كنت سقطت على حيوان واذيته لربما

كانت جثته موجودة أو قد قام بإيذائي، ولكني كما تريانى، لا شيء جديد فيّ إلا الغبار وبعض الصخور الصغيرة».

أسند البروفيسور يوسف رأسه إلى يده مفكرًا قائلًا: «لربما ما جاء في تلك القصص صحيحة!».

سألته مستغربة: «أية قصص؟!».

نظر إليه الدكتور أيمن منتظرًا شرحًا لما يقول.. أكمل البروفيسور يوسف كلامه قائلًا:

«في السادسة صباحًا تسلمت رسالة إلكترونية مفادها طلب البحث في حقيقة ما ورد في إحدى قصص الفانتازيا أو الخيال كما نسميه نحن العرب.. باختصار مفاد الرسالة كالآتي: نبحث عن حقيقة مخلوق ذُكر في إحدى قصص الخيال الغرائبي لأحد الرواة العرب المغمورين، هذا المخلوق كان يعيش تحت الأرض في منطقة تعج بالكهوف وحضارات سابقة، هذه المنطقة أو البقعة بالتحديد هي نفسها التي أنشئ عليها مبنى (دار الكتب القديمة)».

حضارات! كهوف! والدار؟! مسالم هذا المخلوق أم متوحش؟! ترددت هذه الأسئلة في ذهني، لكني شرَدان ما طردتها قائلة: "أظن أن هذا المخلوق مسالم، فلو كان متوحشًا لافترسني أو آذاني على الأقل».

- «وماذا لو كنت تشيرين إلى مخلوق آخر؟!». ألقى الدكتور أيمن بهذا السؤال إليّ..

نعم، ماذا لو كان مخلوقًا آخر؟!..

ظللنا نرمق بعضنا لبرهة؛ ومن ثم سألته: «لم وصلتك هذه الرسالة الان؟! أعني هل شاهد أحدهم هذا المخلوق؟!».

تبادل البروفيسور يوسف والدكتور أيمن النظرات؛

ومن ثم أغمض الدكتور أيمن عينيه وتنهد: «ربما».

قلت له مستفهمة: «ما المعنى؟!».

أجابني الدكتور أيمن وقد بدأ في المشي:

«كنا نلحظ أنا والبروفيسور يوسف أشياء وعلاماتٍ كثيرة».

أكمل البروفيسور يوسف قائلًا: «أجل، ففي هذا الصباح، وبخاصة بعد تسلمي الرسالة الإلكترونية على هاتفي المتحرك، قمت بالبحث عن هذا الكاتب المغمور ولم أجد سوى تلخيص لقصته التي ابتدعها؛ لكي أبحث وأقارن بين العلامات التي كنا نراها بالوصف المذكور في القصة».

- «أهو مخلوق عاقل؟».

- «نعم، عاقل إلى حد بعيد».

- «وما هي العلامات يا يوسف؟» أطلق الدكتور أيمن هذا التساؤل للبروفيسور يوسف.

أجاب البروفيسور يوسف وهو يشير إلى أقدامنا: «هذا المخلوق بنّاء، يحب حفر الأنفاق، لكنه على مستوى عالٍ من الحرفة والإتقان؛ حيث إن كل شيء محسوب بدقة، فالمسافة بين الجدران والسقف وتشكيل الممرات مسافة دقيقة ومرتبةٌ جدًا».

صمت البروفيسور يوسف قليلًا ثم قال: «منذ شهرين فقدنا جهازًا ميكانيكيًا يقيس الأبعاد، ولكن شزعان ما وجدناه في منتصف قاعة المكتبة، مشروخًا ومعطلًا».

هز الدكتور أيمن رأسه قائلًا: «نعم، فلقد كنا دائمًا ما نفقد أدوات القياس أو ما يشابهها، وبعضها يرد إلينا محطمًا أو معطلًا!!».

تطلعنا إلى ما يحيطنا من الجدران وأكملنا مشينا إلى ممرات كثيرة....

تساءلت: «ألا تعتقدان أن هذه الممرات كانت نتاج حضارات سابقة؟!».

أجابني الدكتور أيمن قائلًا: «لربما حينها وجدت بعض الحشرات أو حتى بيوت العنكبوت، لكن ما يحيرني أن المكان نظيف، نظيف جدًا!!».

قرن الدكتور أيمن كلامه بحركة من يده لتقريب الشمعة إلى أحد الجدران، وأكمل كلامه قائلًا: «كما أن صخوره تلمع بشكل غريب، وهي لا تختلف عن أي من الصخور التي نعرفها، كأنها زشت بمادة لامعة أو أن هذا المخلوق يعتني حقًا بنظافة هذا المكان».

تابعنا مسيرنا للأمام، وإذا بجدار يسد علينا دربنا، إنه طريق مغلق.. قام الدكتور أيمن بتلمس الجدار، وإذا به يدفع صخرة إلى الداخل، صخرة أصدرت صوت تكة غريبة... وانزلق الجدار لليمين كاشفًا قاعة مربعة الشكل وفي منتصف سقفها فتحة ينزل منها سلّم خشبي...

لحظة.. إنها القاعة نفسها التي بدأت رحلتي فيها في هذه الممرات الأرضية!

شهقت وقلت للدكتور أيمن بعدما رمقني بنظرة استغراب: «هذه هي القاعة التي سقطت إليها، ذات المشاعل، ولكن.. ولكن لا أثر للغبار والصخور التي سقطت معي!! ثم من أحضر هذا السلم إلى هنا؟!».

اقترب ثلاثتنا إلى السلم ونظرنا إلى الأعلى، إنه يمتد على طول الفتحة للخارج.

- «هيا، إنه طريق العودة الوحيد، ربما!!». قالها الدكتور أيمن وقد أمسك قاعدة السلم ودعاني للصعود للأعلى أولًا...

صعدت بتوتر دون أن أناقشهما، فأعصابي لم تكن تحتمل البقاء أكثر في هذا المكان دقيقة واحدة...

صعدت وصعدت حتى وصلت إلى الفتحة ولمست الأرضية الطينية ونظرت للأسفل وأنا أرقب البروفيسور يوسف يصعد السلم بتوتر والعرق يتجمع على جبهته، أظنه قلقًا من أن ينهار السلم تحت وطأة وزنه. مرت دقيقة كاملة وهو يحاول جاهدًا أن لا يعلق جسده وينحشر في الفتحة، حتى أنني قد سمعت صوت تنفسه المتوتر... إنه خائف على ما أظن، وأظن أيضًا أنني خائفة من الفكرة نفسها، ولكن الحمد لله، خرج البروفيسور يوسف يتبعه الدكتور أيمن بعده بثوانٍ.. كنت جالسة بجانب البروفيسور يوسف الذي طفق يلهث ويجفف عرقه الذي غزا جميع وجهه والدكتور أيمن واقف عاقد حاجبيه وقال: «لا أذكر أننا نملك سلمًا خشبيًا بهذا الطول وهذه الصلادة هنا!!».

رمقه البروفيسور يوسف وكأنه انتبه لهذا الموضوع فجأة وامتقع وجهه... نظرت إلى الدكتور أيمن سائلة: «أتعتقد أنه ساعدنا؟!».

- «أتقصدين المخلوق؟!».

- «نعم».

- «ربما».

- «لم؟».

- «لا أدري!».

نظرنا إلى الفتحة ومن ثم قال البروفيسور يوسف: «أتظن يا أيمن أنه يجب علينا أن نغلق هذه الفتحة؟».

قلت له سائلة: «وما الفائدة؟».

- «وماذا الذي تعنينه؟».

قالها البروفيسور يوسف سائلًا إياي، وقد بدا يكح من فرط الجهد العضلي والنفسي..

أجبته: «إن كان مهندسًا معماريًا وحفارًا جيّدًا ومسالمًا.. لا أظن أن سد الفتحة قد يمنعه من الوصول إلينا أو الحركة كما يشاء..».

وافقني الدكتور أيمن بإيماءة وقال: «ولكنا يجب علينا أن نرى بأعيننا، أليس كذلك يا يوسف؟ أم يجب علينا القبض عليه وحبسه؟».

نهض البروفيسور يوسف قائلًا: «يجب أن نرى بأم أعيننا؛ ومن ثم نخبره (هو) شخصيًا لكي يأتي ليرى بأم عينيه».

أمسك الدكتور أيمن رأسه فجأة وقال غاضبًا بكل معنى الكلمة: «إلا هو!».

ظلّلت أرمقهما باستغراب وقلت: «ومن (هو) هذا؟!!».

قال الدكتور أيمن من بين أسنانه: «إنه العقل المدبر لكل هذا».

- «لم أفهم!».

- «إنه مصدر ألغازنا يا ريم».

- «لم أفهم!».

تأفف الدكتور أيمن وقال: «هلمّا بنا إلى قاعة المكتبة لنتحدث، وأظن يا ريم أنه يجب عليك اللحاق بأول محاضرة لك في هذا الصباح».

في الحقيقة – أتدرون- لقد فقدت اهتمامي بالمحاضرة، ولكني هززت رأسي موافقة...

وصلنا إلى القاعة بعد أن اجتزنا المتاهات نفسها، وجلسنا إلى الطاولة...

بدأ الدكتور أيمن بالحديث؛ حيث بدأ الأمر كله..

حتى عنه هو..

الشخص الذي تبدأ عنده الألغاز وتنتهي...

ومع كل كلمة تتسع عيناي غير مصدقة، فاخر شخص في الدنيا أتوقعه كان (هو)..

آخر شخص!...

«أتشو».

«الحمد لله» أظن أنه هناك من يتحدث عني، قفز ذلك القزم من طاولة إلى أخرى، عبث بكتاب ومن ثم تحرك إلى طاولة كبيرة، ودوّن شيئًا على ورقته... ابتسم القزم.. خرج من الغرفة التي كان فيها إلى مكتب آخر...

وجلس على تلك الطاولة ذات اللون البرونزي العتيق ولوحة باسمة تتصدر طرف الطاولة...

(رئيس الجامعة – القزم ميكا).. نعم، لا تستغربوا فاسمه الأول هو (القزم)...

ارتخى في مقعده، وبدأ بالنخير فوزًا، فقد غلبه النعاس.. بدأ يحلم ببضع ألغاز، ومخلوقات، وعوالم.. وبجمعية خطوات...

حيث بطلتنا تختبر أول خطوة لها...

خطوة ستغير نظرتها للجامعة التي ارتادتها..

ابتسم القزم مع هذا الحلم.. «زهرة أخرى في حقلي» قالها بزهو؛ ومن ثم أطبق شفتيه وبدأ ينخر مرة أخرى... الجو هادئ عنده...

نتحرك من غرفة المكتب لتتحرك كاميرا مشهدنا إلى ساحات الكليات، ومن ثم إلى المبنى العتيق لدار الكتب القديمة...

حيث أبطالنا الثلاثة يتشاورون ويتحادثون ولكن لحظة...

إنهما اثنان فقط! أين ريم؟!

الماء الدافئ يتدفق ليغمرني.. من حسن حظي أن مكتبة (دار الكتب القديمة) وفرت مكانًا مؤقتًا للإقامة.. غرفة نوم وغرفة ملابس وحمامًا.. فرغت من حمامي وارتديت الملابس التي اخترتها من الخزانة وثبت حجابي ومن ثم نظرت إلى الساعة الأوتوماتيكية القديمة التي أقرضني إياها الدكتور أيمن.. إنها التاسعة...

تنهدت.. تذكرت أحلام.. وتأسفت في داخلي، لقد أرسلت إليها رسالة إلى هاتفها، مفادها أني قد واجهت بعض الصعوبات وسأشرح لها لاحقًا...

«سريٌ يا ريم... سريٌ» تردد صوت الدكتور أيمن وأنا أتذكر أنه عليّ أن أبقي كل شيء تحت نطاق السرية التامة.. تنهدت وقلت: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

خرجت من الغرفة التي بجانب مكتب البروفيسور يوسف واتجهت إلى القاعة، أحمد الله أن هذا الطريق لا يُتوّه الشخص، دخلت القاعة، قال لي الدكتور أيمن والبروفيسور يوسف في آن واحد: «نعيمًا».

أجبت: «أنعم الله عليكما بنعمة الإيمان وطاعة الرحمن!».

نهض البروفيسور يوسف ليحضر صينية مغطاة ويضعها على الطاولة، جلست، كشف البروفيسور يوسف عن الغطاء وإذا به فطور دسم...

قال البروفيسور يوسف: «قبل كل شيء، هيا باسم الله».

بدأنا الأكل...

التهم البروفيسور يوسف طعامه بسرعة قياسية، وقال بعد أن فرغ من طعامه: «الحمد لله، لا أستطيع أن أفكر بمعدة خالية».

التفتُ إلى الدكتور أيمن الذي كان يمضغ الطعام على مهل وهو يحدق في الفراغ خلف البروفيسور يوسف... أحسست بالشبع فحمدت الله وذهبت لأتمضمض؛ ومن ثم عدت إليهما، كانا جالسين صامتين مقطبين غارقين في التفكير..

قطع البروفيسور يوسف الصمت قائلًا: «ولكن كيف نراه بأم أعيينا؟! كيف؟! هل نذهب إلى تلك المتاهات لنبحث عنه؟!».

«لا».

صدرت هذه (اللا) مني، التفتا إليّ، رفع الدكتور أيمن حاجبه الأيمن واستند إلى كرسيه صامتًا منصتًا، أما البروفيسور يوسف، فالتمعت عيناه واستند على الطاولة متحفزًا لما سأقوله، ابتلعت ريقي حينما طال صمتهما، لقد عرفت أنهما ينتظران تفسيرًا مني... قلت لهما: «بل نجعله يخرج من تحت الأرض، نستدرجه إلى هنا».

«كيف؟». نطقها البروفيسور يوسف.

«قبل أن تختفي معدات القياس، ما الشيء الذي كنتما تفعلانه قبلها؟».

مط الدكتور أيمن شفتيه قائلًا: «إما كنا نصلح بابًا أو طاولة أو نصنع مجسمًا».

قلت: «هل كنتما تطرقان بمطرقة أو تحدثان ضجيجًا؟»

لمعت عينا الدكتور أيمن وأجابني وابتسامة تنمو على زاوية شفتيه: «معظم الوقت نعم، كنا حتى نتجادل كثيرًا».

«حسنًا، لنصلح شيئًا الآن». قلتها مصممة..

«وما هو؟» قالها البروفيسور يوسف متسائلًا.

أشرت إلى الطاولة: «هذه».

نظرا إليها وقال البروفيسور يوسف: «وما بها؟ إنها سليمة!».

ابتسم الدكتور أيمن وقد قام من مقعده، ومن ثم جاء بمضرب حديدي وقال: «بل قل كانت سليمة».

وهوى الدكتور أيمن على إحدى أرجل الطاولة لتنكسر ومن ثم اعتدل وأخرج من جيبه قرصًا دائريًا صغيرًا، سحب جزءًا بارزًا منه، وقال مبتسمًا: «والآن يجب علينا أن نصلحه».

ابتسمت أنا والبروفيسور يوسف ونحن ننظر إلى شريط القياس الصغير..

وبدأنا العمل... العمل على الطعم الذي سيخرج المخلوق من مخبئه....

وقد بدأ الطعم يأخذ مفعوله...

«آه... إنها موسيقى عشقها الفؤاد، ترويني من حين لحين... أين أنت يا من تغنين؟ وتتصنعين؟

قد كنت وما زلت حبيبة الروح بعد فقد الوطن والبنين....

أين أنت؟ يا دقات قلب يعشق التكوين؟؟

أجل!

أسمعك تقتربين..

دقة بدقة.... ويرقص قلبي بجنون...

أين أنت؟ أفوق تسكنين؟

فلفوق ذهبنا، كما كل مرة فيها تنادين..».

هذه الخواطر ما لبثت أن تخرج من ذلك الذي يمشي بتؤدة، ذو الوهج الأزرق الهادئ، في تلك الممرات المظلمة يصعد لأعلى وأعلى وأعلى...

«إلى السطح حيث تمكثين وتولدين وتموتين».

قالها المخلوق حينما فتح أحد الأبواب، وصعد الممرات واتجه إلى القاعة، حيث أصدقاؤنا يعملون على رجل الطاولة المكسورة...

«لم اختفى صوتك يا من تغنين؟».

دخل المخلوق إلى قاعة المكتبة، وظل يمشي إلى الطاولة، لمسها بيده، ظل يتحسسها..

تنهد، أمسك ذلك القرص ذا البروز العجيب..

سحب البروز إلى الخارج وظهر شريط القياس من مكانه...

ابتسم المخلوق وقال: «آه يا معلمي.. آثارك قد أكلها الزمن.. لكن غناء الأشياء ما زال كما كان».

التفت المخلوق كي يعود أدراجه... فمن كانت تغني قد صمتت.. يعود لكي يبحث عن موسيقاه التي أصبح يعيش بها منذ أن أفاق من سباته... وعندما التفت رآها... الفتاة التي سقطت فوقه.. رآها تحدق فيه..

« يا إلهي ماذا أفعل!... أنا لست اجتماعيًا.. لا أعرف ماذا أفعل! هل ستصرخ كما كانت تفعل عندما سقطت؟! لكنها لم ترني حينها». هذه الأفكار غزت بال المخلوق.

طأطأ المخلوق رأسه حرجًا خجلًا خائفًا لا يعرف ماذا يفعل.. لكان سيهرب لو لم يغلق البدين بجسده فتحة الباب التي جاء منها ولو لم يغلق ذلك الطويل الباب الاخر...

«هذان الاثنان هما أهل البيت، يا ترى هل هما

غاضبان مني؟! أعلم أني كنت أستعير أشياءهما من غير إذنهما.. يا إلهي ماذا أفعل؟!» قالها المخلوق في نفسه...

«لا يا ريم!».

جفل المخلوق من نداء البروفيسور يوسف وهو يحذر ريم من الاقتراب منه..

كانت ريم تتقدم ببطء إلى المخلوق باسمة وقالت: «يا ألله.. ما أجمله!».

فهم المخلوق جملتها، وقال حرجًا: «شكرًا، أحاول دائمًا أن أكون في أحسن حالاتي».

توقفت ريم رافعة حاجبيها بدهشة وهي تقول: «ويتحدث أيضًا؟! بلساننا؟!».

تنحنح المخلوق وهو يعبث بيديه خجلًا وقد احمر وجهه وهو يقول: «لقد علمني معلمي التحدث بلسانكم».

ابتسمت ريم قائلة: «أنا آسفة.. لقد سقطت عليك».

رمقها المخلوق بعينيه السوداوين الجميلتين التي تشبه في شكلها عيني الغزال، لمعت عيناه بالدموع لقد أحس بالتأثر، إنه يتحدث مع البشر، آخر مرة يتذكرها كانت قبل أن يذهب في سباته... فابتسم قائلًا: «أنا الذي يجب أن يتأسف، فلقد سقطت بسبب ضعف حساباتي لطاقة تحمل إحدى الأرضيات التي هي سقف الحجرة التي بنيتها.. لا أدري لم، ولكن الأرجح أنه تعرض لضغط قوي غير متوقع».

هنا كح البروفيسور يوسف من الحرج فأحس أنه السبب في حدوث الضغط القوي وغير المتوقع...

وهنا تحرك الدكتور أيمن قائلًا: «يوسف، ما كان اسم الكاتب العربي؟».

أجابه البروفيسور يوسف قائلًا: «أحمد ال-».

شهق المخلوق قبل أن يكمل البروفيسور يوسف كلامه وقال قافزًا: «هل -هل أحمد موجود؟! لقد رحل بعد أن غفوت وانطلقت في رحلة سباتي... لم أشكره بما فيه الكفاية.. هل.. هل ما زال حيًا؟!»

صمت قليلًا ومن ثم أكمل المخلوق كلامه بضحكة متوترة: «آه.. لقد نسيت أن أعماركم أقصر منا». وأطرق المخلوق برأسه للأسفل...

أمال البروفيسور يوسف رأسه جانبًا وهو يقول: «إذًا، ما دونه الكاتب كان حقيقة لا خيالًا! حضارتكم.. بنو جنسكم، أنتم من المخلوقات العاملة العاقلة في مدينتكم».

رفع المخلوق رأسه وقال: «نعم... في مدينتنا... قبل أن تنقرض سلالتي».

هنا اقتربت ريم من المخلوق كثيرًا ومدت يدها لتلمس بشرته المتوهجة باللون الأزرق السماوي، كانت ريم مأخوذة بشكل ولون المخلوق.. توقفت ناظرة إلى المخلوق منتظرة موافقته في لمسها له، تحرك المخلوق بحرج نحوها وجعل جسده يلمس يد ريم...

ابتسمت ريم وهي تمسح بيدها على جلده.. أصدر المخلوق صوت خرخرة تشبه صوت خرخرة القطط وهو مستمتع بمداعبة ريم.. اقترب الدكتور أيمن ليقف بجانب ريم، وظل يرمق المخلوق وقال: «سبحان الله.. تبارك الله أحسن الخالقين!».

هنا التفت الدكتور أيمن إلى البروفيسور يوسف وأصدر له إشارة برأسه كي يخبر العقل المدبر..

فلقد رأوا المخلوق..

بل بدأوا يتفاهمون معه..

وكانت هذه أيضًا بداية البداية...

وخطوة لخطوات..

التفت الدكتور أيمن إلى المخلوق وقال له سائلًا: «كيف تعيش؟ كيف كنت تأكل؟».

رفع المخلوق رأسه إلى الدكتور أيمن قائلًا: «إني آكل التراب والغبار، وأضطر إلى طحن الصخور لفعل ذلك».

ارتفع حاجبا الدكتور أيمن استغرابًا وقال: «سبحان الله!..».

التفتت ريم إلى الدكتور أيمن قائلة: «ملمسه يشبه ملمس الدلافين».

نظر الدكتور أيمن إلى المخلوق ذي المتر طولًا ولا يزيد عرضه على ربع المتر، وشكله الذي يبعد كل البعد عما كان يتخيله في مخه، عيناه كعيني الغزال السوداوين واللتين تحتلان ثلث وجهه، وجهه ذو الصبغة البيضاء، والأنف أبيض صغير مدبب، وفمه الذي يشبه في تقسيمه فم القطة، لا أذن بارزة، بل منحنيات على جانبي رأسه في غاية الجمال، يداه ذواتا المخالب السوداء، يده طويلة، كفه بيضاء اللون، ذات أربع أصابع طويلة، رجله قصيرة ذات مخالب سوداء أيضًا، حينما يطأطئ المخلوق رأسه تختفي المخالب داخل أصابعه...

«أه... إذًا فقد وجدتموه».

قفز الأربعة بعد أن فُتح باب المدخل الرئيسي للمكتبة فجأة؛ ليطل منه قزم بطول متر تقريبًا والذي بدوره أغلق الباب والتفت إليهم وعدل من هيئته قائلًا بمرح: «مرحبًا..».

ظلت ريم والمخلوق ينظران إليه باستغراب، التفت إليهما الدكتور أيمن قائلًا: «لا تخافا إنه

مسالم».

ضحك القزم وهو يتقدم نحو ريم قائلًا: «تشرفت بالتعرف عليكما»...

ابتسم المخلوق ولوح بمخالبه إلى القزم، إلا أن ريم سألت الدكتور أيمن قائلة: «من هذا؟؟».

أجابها القزم بمرح: «أنا من طلبت منكم أن تجدوا لي صحة وجود هذا المخلوق».

قال الدكتور أيمن وقد ضاقت عيناه: «ما أريد معرفته هو كيف تحصل على هذه المعلومات دائمًا؟!».

أجابه القزم ضاحكًا: «لي مصادري يا فتى».

يا فتى؟! هذا القزم العجوز ذو الحواجب المقرونة الكثيفة والعينين البنيتين الواسعتين والرأس الأصلع من الأمام طويل الشعر من منتصف رأسه، واللحية الطويلة التي تصل إلى نصف رجله، يلقب الدكتور أيمن بالفتى؟! كنت سأضحك لولا أن وجْهَ القزم كلامه إليّ قائلًا: «أحسنت يا صغيرتي.. حللت اللغز.. هيا الآن عودي إلى مقاعد الدراسة».

ظللت أرمق القزم والدكتور أيمن والبروفيسور يوسف غير مصدقة وقلت لهم: «أعود.. ولكن».

قاطعني القزم قائلًا: «لقد أرسلت عذرك إلى مدرس محاضرتك السابقة فلا بأس عليك... هيا انطلقي الآن، وعودي بعد المحاضرات لكي تغلقي اللغز».

- «أغلق اللغز!!».

خرجت مني هذه الكلمات مستغربة وأنا أرمق القزم غير مصدقة...

- «ولكن لم ننته بعد من.. من».

والتفت إلى حيث يقف المخلوق.. ولكنه اختفى.. لم يكن له أثر يذكر..

بعد أن تنبهنا إلى اختفائه جعلنا نتبادل النظرات والقزم يتطلع إلى ثلاثتنا مبتسمًا وقال: «حسنًا يا ريم..لا داعي للتباطؤ الآن، هلمي إلى المحاضرة».

جاء البروفيسور يوسف بحقيبتي التي أخذتها منه وشكرته؛ ومن ثم نظرت إلى الدكتور أيمن الذي قال متأففًا: «قابلينا بعد أن تنتهي من محاضرتك».

هززت رأسي ومشيت إلى الباب الخارجي والدموع تكاد تخنقني.. هكذا.. أهكذا انتهى اللغز... حتى أننا لم نعرف تفاصيل ذلك المخلوق!...

وقفت أتنفس الهواء العليل وأصفي ذهني.. نعم، سأقرأ ما كتبه الكاتب عن المخلوق وأعود بعد المحاضرة لأرى كيف أغلق اللغز...

سنرى...

ومضت ريم تمشي إلى مبنى الكيمياء؛ حيث آخر محاضرة لها وعقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة تقريبًا...

همم.. هذا أول يوم لي في الجامعة، لكنه كان أول يوم لي في الجمعية كذلك.. أستكون الحال دائمًا هكذا؟

لا أريد أن أفوت عليّ حصصًا كثيرة ولكن بدأ الأمر يجذبني.. وظللت أفكر في المخلوق حتى وصلت إلى قاعة المحاضرة التي استطعت دخولها قبل إغلاق الباب، فهذا المدرس خاصة يمنع دخول أي طالب بعده، كما أنه يمنع الكلام في داخل القاعة؛ مما أنقذني من أسئلة أحلام الحارقة التي أمطرتني بها بعد خروجنا من المحاضرة..

كل ما أذكره هو تلعثمها في الكيف ولماذا، وماذا

حدث.

ابتسمت إليها ابتسامة مرهقة وقلت لها: «أحلام، سأخبرك بالتفاصيل لاحقًا، أما الآن فعلينا أن نلحق بصلاة الظهر».

أوقفتني أحلام قائلة معاتبة لي: «عمتي تنتظرني في الخارج، غدًا يا ريم تدلين لي بشرح كامل».

ابتسمت لها قائلة: «حسنًا يا أحلام.. إلى الغد».

ابتسمت أحلام وقد كست عينيها طبقة من الدموع قائلة: «إياك أن تقلقيني مرة أخرى».

اندهشت لردة فعلها وتأثرت لمشاعرها، وجال بخاطري إني على بعد خطوات من اكتشاف صديقة عزيزة.. وعلى ذكر خطوات ابتسمت...

لاحظت أحلام ابتسامتي وقالت: «لم الابتسام؟ أنا جادة فيما أقول».

هززت رأسي وأنا أقول لها: «أعلم.. أنا آسفة..».

مطت شفتها السفلى وربتت على كتفي وودعتني... ظللت أنظر إليها حتى اختفت خلف أحد المباني ومن ثم ذهبت للصلاة...

وبعد أن فرغت من الصلاة قرصني الجوع فاشتريت شطيرة لآكلها، واتصلت بوالدتي لأخبرها أنني سأتخلف عن الغداء لأن لديّ عملًا بعد ساعات دراستي يجب أن أنجزه وأنني سأتصل بوالدي بعدما أفرغ...

بعد أن أسمعتني أمي الوصايا العشرين أغلقت سماعة الهاتف المتحرك...

إنها الثالثة بعد الظهر، عليّ أن أتجه للدار مرة أخرى.. فجأة أحسست بنشاط غريب وخطواتي أشبه بالعدو لكي أصل إلى المكتبة وأفتح الباب لتكون أمامي مفاجأة.....

تثاءبت بعد وجبة العشاء وأنا منكبة على مكتبي الدراسي في غرفتي، أغلقت كتبي الإلكترونية ودفتر ملاحظاتي الإلكتروني.. وأمسكت بقلم وكتاب عتيق وبرسالة مطوية..

دسست رجلي تحت الأغطية وأسندت ظهري إلى الوسادة...

«ههه.. غلق اللغز.. لِمَ عليّ الكتابة عنه من الأساس؟!».

مططت يدي وأمسكت القلم مرة أخرى وبالرسالة المطوية.. هذه الرسالة الثانية، إنما هي موجهة إليّ!

لا يعرف البروفيسور يوسف ولا الدكتور أيمن محتواها، ولكنهما سلماها إليّ... وضعتها إلى جانبي وفتحت الكتاب العتيق.. في أول صفحة كتب عنوان (الجزء الخامس).. والصفحة الثانية تصدر عنوان (اللغز الأول)... أظن أنه عليّ أن أبدأ هنا...

«عليك أن تكتبي عن هذا اللغز» تردد صوت الدكتور أيمن في جنبات عقلي والمشهد يعيد نفسه أمام عينيّ...

«وكيف أكتب عنه؟» رددت هذا السؤال على مسمع الدكتور أيمن؛ ومن ثم أردفت: «ولم أكتب عنه؟».

أجابني البروفيسور يوسف بهدوء: «للذكرى وتأريخًا للغز».

نظرت بتعجب لهما... للذكرى وللتأريخ!!

أردف البروفيسور يوسف قائلًا: «صغيرتي ريم، إن الكثير من الحضارات تفنى، وأحداث تولد وتموت وما يبقى منها إلا آثارها أو كتب خلدتها وخلدت

ثقافتها، فاذهبي يا صغيرتي ومن دون نقاش، لقد كان يومك طويلًا، فخذي قسطًا من الراحة».

واتجه إلى مدخل دار الكتب وفتحه قائلًا بلطف: «هيا يا ريم، لقد كان يومًا طويلًا، ولدينا نحن أيضًا الكثير لنفعله، سنراك غدًا عصرًا إن شاء الله».

التفت إلى الدكتور أيمن الذي كان يقرأ النسخة الجديدة للكاتب أحمد، ورفع لي يده ملوحًا قائلًا من دون أن يرفع رأسه: «تصبحين على خير..».

نظرت إلى البروفيسور يوسف الذي ابتسم، فخرجت إلى عتبة المدخل وودعته متمنية لهما ليلة هنيئة وبي رغبة جامحة لاختطاف الكتاب من الدكتور أيمن..

طبعًا المخلوق لا أثر له.. لا يعرفان كيف اختفى، لكنه بالتأكيد في الأنفاق تحت (دار الكتب القديمة)....

أتمنى أن لا تنهار الدار بسبب كثرة الأنفاق تحتها...

تنهدت وظللت أكتب في الكتاب حتى الثانية عشرة صباحًا.. وتثاءبت بعدما فرغت من الكتابة.. وضعت الكتاب بجانبي على المنضدة وتمددت ممسكة الرسالة المطوية.. فردتها بعدما عالجت قفلها...

ثم.. خط جديد!

ومضمون الرسالة كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من تسلمت مهام حل الألغاز...

لربما تجدين هذا غريبًا، لكني أنا الفتاة الثالثة في الترتيب، وإني أرسل إليك أنت الفتاة الخامسة هذه الرسالة...

لم أنت؟!

في الحقيقة لا أحب الأعداد الزوجية، دائما ما كنت أحب الفردية منها..

المهم، الذي كنت أريد قوله كالآتي...

هذا سر يجب أن تبحثي عنه بعيدًا عن أعين الدكتور أيمن والبروفيسور يوسف...

وهما لن يخبراك بالتأكيد بهوية باني دار الكتب القديمة وقصة تسميتها... لقد وجدت في بحثي مفتاح الحل لكني لم أتوصل إليه، تاريخ ومخطوطات مكتبة دار الكتب القديمة ليست قابعة في المكتبة نفسها ولكنها مخبأة جيّدًا.. جيّدًا جدًا في مكان لن تتوقعيه أبدًا..

وهو.....

بيت القرْم....

تحياتي وتمنياتي لك بالتوفيق..

الثالثة.

يا سلام! هذا ما كان ينقصني!!! أهذا لغز جديد؟!

وضعت الرسالة فوق الكتاب، وظلّلت أرمق سقف غرفتي.. هوية بانيها.. مخطوطات المكتبة.. ؟! يا ترى من هو بانيها؟! وكيف هي المخطوطات؟!

نهضت من سريري وجلبت مفكرتي الإلكترونية، شبكتها بالشبكة العنكبوتية العالمية، حملت المخطوطات الجغرافية للمنطقة وحددت موقع الجامعة، انتقلت على موقع الجامعة الإلكتروني وحملت الخريطة الداخلية للجامعة ودمجتها مع السابقة، مططت شفتي، ما عليّ فعله هو أن أحمل أي برنامج يساعدني في تخطيط الهندسة الداخلية للمباني... لا يوجد أي ذكر للمكتبة فيها!

تثاءبت مرة أخرى...

زغللت عيناي من الإرهاق...

ظللت أرمق صفحة الجامعة الإلكترونية، ومن ثم انتقلت إلى محرك البحث لأدخل (دار الكتب القديمة) كجملة أبحث عنها...

ظهرت لي الكثير من العناوين، ولكن أحدها شد انتباهي.. حريق هائل في مكتبة (دار الكتب القديمة) منذ 17 عامًا، وفيه صورة لرجال إطفاء ومسعفين يحملون فتاة صغيرة.. بعد أن ركزت في الصورة وحاولت أن أكبر الصورة عند وجه الفتاة.. شهقت....

الفتاة هي أحلام..!!! ولكن أحلام مصابة بشيخوخة متقدمة! قرأت الخبر وتتبعت سلسلة الأخبار في المتصفح الإلكتروني.. الفتاة دخلت في غيبوبة يعلم الله متى ستستفيق منها..

أغلقت المفكرة وأرجعتها إلى مكتبي، اندسست تحت الفراش وأنا أتقلب من شدة تضارب الأفكار..... أهذه حقيقة؟!

المخلوق...

اللغز الأول..

غلق اللغز..

الرسالة.. المباني والمخطوطات..

أحلام وحادثة الحريق والغيبوبة..

حقيقة أم خيال؟!

ظللت أتقلب على فراشي حتى صلاة الفجر، صليت، ومن شدة إرهاقي وتشتتي لم أستطع النوم، وظللت أرقب منظر شروق الشمس من خلال نافذتي وأنا على فراشي...

كل هذه الأشياء لم أستوعبها بعد...

«يا رب، اللهم أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا»

بعد هذا الدعاء تثاءبت ريم للمرة الأخيرة قبل أن تغط في نوم عميق..

نوم عميق ًا جدًا...

فكل فكرة من أفكارها قصة...

وكل فكرة تحتاج خطوة..

ولهذا سميت الجمعية بخطوات... أليس كذلك؟! ولكل خطوة قصة.. ولهذا قصة أخرى...

الخطوة الثانية

ما زلت أخط واجبي وأكمل مراجعتي للاختبار القصير الذي سأجريه لمادة الكيمياء التجريبية..

استندت إلى الكرسي، تثاءبت وأنا أمط جسدي، التفت حولي أبحث عن أثر للدكتور أيمن والبروفيسور يوسف في القاعة..

لم يأتيا بعد، أو أنهما قد ضاعا بين ثنايا (دار الكتب القديمة)...

مططت شفتي وأكملت مراجعتي لمادة الكيمياء التجريبية إلى أن جفلت من صوت مكتوم لسقوط شيء على الأرض..

تطلعت إلى مصدر الصوت حيث الباب الذي يؤدي إلى الممر داخل مكتبة (دار الكتب القديمة)..

نهضت من على الكرسي واتجهت مسرعة لأستطلع الوضع ومصدر الصوت..

وصلت إلى الباب، فتحته وظللت أرمق الممر الخالي إلا من الأوراق المبعثرة على الأرض..

أحسست بخوف يتسلل إلى قلبي، يا تري ما الذي سقط؟! لقد جاء الصوت من هنا!

شعيرات جسدي انتصبت، وجف حلقي وسرى الشعور بالماء المثلج على ظهري، ووقفت أتطلع إلى الممر مرة أخرى، فسفرة يدي على مقبض الباب، خائفة.. قلقة.. مترقبة...

«ما الذي تفعلينه عندك؟».

شهقت وقفزت من مكاني والتفت خلفي حيث يقف الدكتور أيمن على بعد متر مني...

لم أنتبه متى دخل المكتبة، ولم أسمع صوت خطواته مطلقًا!

«ما بك.. هل رأيت جنيًا؟!» قالها الدكتور أيمن مستغربًا.

بلعت ريقي لكي أحاول نطق الكلمات، وقلت له بعد محاولة يائسة: «لا، و- ولكنك أخفتني، بعد أن أفزعني صوت مكتوب لسقوط شيء ومنظر الأوراق المبعثرة في الممر».

أنهيت جملتي وأنا أشير إلى داخل الباب..

وقف الدكتور أيمن متعجّبًا ونظر إلى حيث أشير..

كانت هناك كومة من أوراق متناثرة على الأرض، أوراق قديمة فقط....

نظر الدكتور أيمن إليّ قائلًا: «هيا لنجمعها» ودخل إلى الممر وبدأ يجمع الأوراق..

أجبته: «حسنًا ولكنها المرة الثانية التي أجمع فيها أوراقًا متناثرة على أرضية الممر هذا».

توقف الدكتور أيمن وتطلع إليّ ومن ثم إلى الممر، مَطّ شفتيه وواصل جمع الأوراق مرة أخرى..

جثوت على ركبتيّ لأجمع باقي الأوراق..

انتهينا من جمعها، وأمرني الدكتور أيمن باللحاق بالاختبار، ومن ثم العودة مرة أخرى إلى (دار الكتب القديمة) ليتناقش معي في أمر هذه الأوراق..

خرجت على مضض وأنا أريد معرفة محتواها...

لم أفهم الكثير، لقد التقطت عدة كلمات: أسطرلاب، بحر، توجيه، مكان معتم..

وصلت إلى قاعة الاختبار وعقلي يحاول أن يحيك أي حبكة لفهم العلاقة بين هذه الكلمات.. أهي مغامرة بحرية؟ أم فلكية؟ أم من نوع آخر؟!! فقد قضيت أسبوعين هادئين بعد أول لغز، والآن في أشد حماسي للغز الجديد...

قطعت أحلام حبل أفكاري بتربيتها على كتفي

قائلة: «ريم.. لم أفهم كيفية عمل هذا المحلول».

حاولت شرح العملية لها وصورة المقال يبرز على سطح أفكاري للمرة الألف..

أمن المعقول أن تكون قد فقدت الذاكرة أو الإحساس بالوقت؟!

لم أستطع إنهاء شرحي ولا تسلسل أفكاري، فقد دخل إلى القاعة محاضر الكيمياء العتيد ذو الحكم العسكري.. لا كلام.. لا نقاش ولا تأخير... ولا سلام!

أما الاختبار فكان حلقة من حلقات التعذيب التي بدأنا الاعتياد عليها من هذا المحاضر...

نعم يا ريم.. حلقة تعذيب، لكن لكثرة ما كانت التجارب سيئة والذكريات التي لا نحبها عبارة عن دروس..

دروس تساعدنا في إتمام خطواتنا...

وخصوصًا في اللغز الذي وصل للتو عندهم...

لم تعلم ريم أن هناك تعذيبًا أكبر وصلت إليه..

أو بالأحرى.. وجدها..

على الطاولة العتيقة في منتصف القاعة، قبع الدكتور أيمن يقلب في الأوراق التي بين يديه.. 40 ورقة.. لا أرقام عليها، وعليه أن يحزر ما إذا كانت ذات علاقة ببعضها البعض أم لا..

«يا ترى ما الذي يخططه القزم هذه المرة؟!».

نطق الدكتور أيمن بهذا التساؤل مع دخول البروفيسور يوسف من المدخل الرئيسي لدار الكتب القديمة.

رفع الدكتور أيمن رأسه وتبادل السلام مع البروفيسور يوسف والذي بدوره جلس قبالته على

الطاولة محاولًا تنظيم تنفسه المرهق السريع...

مسح البروفيسور يوسف جبهته بمنديل وتطلع إلى الأوراق التي بين يدي الدكتور أيمن قائلًا: «ما الجديد؟».

هز الدكتور أيمن رأسه بحيرة قائلًا: «لا أدري بالضبط يا يوسف! لا أعرف ما الذي يخططه القزم هذه المرة!».

سأله البروفيسور يوسف: «ما الذي تعنيه؟».

أجابه الدكتور أيمن: «لقد وجدث ريم هذه الأوراق مبعثرة على الأرض».

مط البروفيسور يوسف شفتيه قائلًا: «وما الجديد في الأمر؟».

تطلع الدكتور أيمن إلى عيني البروفيسور يوسف قائلًا: «قبل أن تكتشف ريم الأوراق المبعثرة، سمعت صوتًا مكتومًا لسقوط شيء على الأرض».

مال البروفيسور يوسف بجسده للأمام وقد صغرت عيناه وقطب حاجبيه قائلًا: «وما هو هذا الشيء؟».

- «لا أدري!».

- «كيف لا تدري؟! ألم تره ريم؟!».

- «لا».

أسند البروفيسور يوسف ظهره للكرسي، والكرسي يئن معترضًا على حركة ووطأة جسده عليه...

«أين ريم؟» ألقى البروفيسور يوسف هذا السؤال..

أجابه الدكتور أيمن ونظره مرتكز على الأوراق: «لديها اختبار كيمياء تجريبية، وستنتهي منه بعد ربع ساعة».

- «ممم.. حسنًا وماذا علينا أن نفعل حاليًا؟».

- «ننتظرها لنبدأ بحل اللغز بالطريقة الصحيحة».

رفع البروفيسور يوسف كتفيه قائلًا: «لا مانع عندي، وبينما نحن ننتظر، سأتناول شطيرة باللحم».

- «بل سترتب الأوراق معي لإيجاد نمط يجمعها ومنه نحاول فهم موضوع القصة أو اللغز».

لم تعجب الفكرة البروفيسور يوسف لكنه لم يعترض بسبب ملامح وجه الدكتور أيمن المتجهمة الرافضة للمناقشة..

تذكر البروفيسور يوسف شيئًا مهمًا بخصوص القزم وقال للدكتور أيمن: «آه.. بخصوص القزم، ألم تعلم؟».

أجاب الدكتور أيمن باقتضاب: «ماذا؟».

- «لقد سافر وأرسل رسالة إلكترونية للجميع مخطرًا إياهم بأن المنيب عنه سيكون أمين الجامعة وأنه سيرجع بعد شهر».

انعقد حاجبا الدكتور أيمن وهو يتطلع إلى البروفيسور يوسف وقد سأله: «و كيف سنتواصل معه؟»

- «كالمعتاد بالبريد الإلكتروني أو ننتظر منه أن يتواصل معنا بطريقته».

- «وهاتفه المحمول؟».

- «مغلق».

- «..... وهذه الأوراق؟!».

- «أظن أنه علينا أن نتعامل مع الموضوع كما فعلنا في المرات السابقة».

ظهر الغضب على محيا الدكتور أيمن وقال للبروفيسور يوسف وهو يضغط على كل كلمة: «أنت أعلم بما قد كلفتنا هذه الأنواع من الألغاز».

هز البروفيسور يوسف رأسه قائلًا: «نعم، فما زال منظر حريق المكتبة قابعًا في ذاكرتي».

ابتسم الدكتور أيمن بسخرية قائلًا: «أو تعلم أن تلك الفتاة هي أول صديقة أو زميلة لريم في هذه الجامعة؟».

امتقع وجه البروفيسور يوسف ونظر بتوتر إلى الدكتور أيمن سائلًا: «والحل؟! أنُعلم ريم؟».

- «لا بل ننتظر».

- «إلى متى؟».

- «إلى أن يحين الوقت».

- «وهل يعلم الُقرْم برجوعها».

- «نعم..».

صمت البروفيسور يوسف وهو يتذكر الحادثة الأليمة للمكتبة..

حادثة احتراقها...

الحادثة الوحيدة التي لم يُعرف حلها...

لكن كانت هناك فتاة في الموضوع..

فتاة.. اسمها أحلام...

«آه، الحمد لله.. أخيرًا.. لقد انكشف الغم وانتهى الكابوس».

ابتسمت أحلام بعد تعليق ريم، كانت في الحقيقة شبه ابتسامة، فلقد أبدعت في التأليف في الاختبار!! ولا تعلم إن كانت ستنجح في هذا المساق أو لا..

تصاعد غضب في داخل أحلام، تمنت لو يختفي محاضر مادة الكيمياء التجريبية عن وجه الأرض، وبيدها...

راودتها الأفكار وهما يتناولان وجبة غداء خفيفة في باحة المطاعم التي غدت نقطة استراحتهما

ولقائهما المعتاد خلال الأسبوعين الماضيين.. فرغت ريم من وجبتها، ومن ثم نظرت إلى ساعتها موجهة كلامها لأحلام: «أحلام، هلّا جلست عند أغراضي لأذهب لأصلي وأرجع؟».

ابتسمت أحلام أن نعم، شكرتها ريم وغادرتها شبه راكضة إلى المصلى لتلحق بصلاة الظهر ولتنضم إلى الدكتور أيمن في مكتبة (دار الكتب القديمة)..

ابتسمت أحلام وهي تنظر إلى ريم حتى اختفت داخل المصلى القابع في منتصف المساحة بين ردهة المطاعم وكلية الهندسة..

نظرت أحلام حولها.. تأففت، ومن ثم نظرت إلى حقيبة ريم ومذكرتها الإلكترونية التي نسيتها الأخيرة مفتوحة...

انتبهت أحلام إلى ورود رسالة جديدة إلى صندوق بريد ريم...

انتفضت أحلام، ومن ثم اقتربت من الشاشة أكثر لتتأكد من الكلمة التي قرأتها.. (خطوات!)

تسمرت أحلام في مكانها، تغيرت ملامح وجهها، برزت قطرات من العرق على جبينها وانعقد حاجباها، تصاعد الغضب على وجهها، تسارعت وتعالى صوت أنفاسها المرتجف، اهتزت كل خلية في جسدها وبدأ صداع كالمطرقة يغزو رأسها...

عنوان الرسالة: (لغز جديد.. احذري)...

مرت فترة صمت..... فترة طويلة...

ظهرت ابتسامة على زاوية فم أحلام، ابتسامة متشنجة، ومن ثم ضغطت زر المسح والإلغاء؛ لتختفي الرسالة من صندوق الوارد...

ابتسمت أحلام ابتسامة مخيفة، وظلت تبتسم وفكرة تزداد وضوحا في عقلها، ابتسمت أكثر عندما

رأت ريم تقترب ناحيتها راكضة..

قالت ريم وهي تلهث وترفع حقيبتها ومذكرتها من على الطاولة: «شكرًا أحلام، واعذريني، الآن يجب أن أستأذنك، عليّ اللحاق باجتماع في المكتبة».

ابتسمت أحلام لريم وقامت من مكانها قائلة: «أما أنا فعليّ الذهاب إلى البيت».

كل واحدة ذهبت لوجهتها..

ريم إلى (دار الكتب القديمة)...

وأحلام إلى بيتها...

وبينما أحلام تمشي متجهة إلى أحد مخارج الجامعة، تناولت هاتفها الذكي من حقيبتها وتطلعت إليه متمتمة: «أرجو أن لا أكون قد نسيت الرقم».

شرعت أحلام تضغط أرقام الهاتف، وظلت ترتقب سماع صوت في الجهة الأخرى من الخط..

أجاب أحدهم قائلًا: «نعم!».

بلعت أحلام ريقها قائلة: «هذه أنا».

وابتسامتها تتسع..

فبهذه المكالمة، قد فتحت فصلًا آخر للغز..

وبابًا كان موصدًا..

بابًا يحمل الكثير والكثير من الأسئلة والأجوبة..

الكثير من الصعوبة..

الكثير والكثير... لهذه الخطوة...

فتحت ريم باب المكتبة ووجدت الدكتور أيمن والبروفيسور يوسف منكبين على الأوراق يرتبانها على الطاولة التي تتوسط القاعة.. تقدمت ريم إليهما وألقت عليهما السلام، تطلع إليها الدكتور أيمن

مقطبًا حاجبيه، أما البروفيسور يوسف فكان ذا وجه ممتقع وقد غطاه العرق مندمجًا في قراءة ورقة بين يديه...

تنهد الدكتور أيمن قائلًا موجهًا كلامه لريم: «إن هذا اللغز يحب الاستهزاء بنا!!».

لم تفهم ريم عما كان يتحدث عنه الدكتور أيمن إلا بعد أن مرت دقيقة كاملة لتنفض رعب اختبارها وتستقبل أي صدمات جديدة...

«يستهزئ؟!» خرج التساؤل من ريم، التفت إليها البروفيسور يوسف قائلًا: «اجلسي يا ريم... احم... أترين الأوراق المبعثرة؟.. إنها بلا ترتيب، وكل ورقة تحمل معلومات، وبعضها يحوي أسئلة وخرائط.. لكننا لانعرف الترتيب الصحيح لها».

قالت ريم ببطء: «أ.. حسنًا.. لم أفهم.. ما المشكلة؟».

أجابها الدكتور أيمن بنفاد صبر: «المشكلة يا ريم أننا كي نعرف ما هو اللغز، قد يتطلب منا وقتًا، والمشكلة أنه لا وقت كافيًا أمامنا!!».

سألته ريم مستفسرة: «لم ليس لدينا الوقت الكافي؟».

أجابها الدكتور أيمن وهو مغمض عينيه بقوة: «علينا أن نسلم الحل خلال أسبوع من الآن».

ظلت ريم تتطلع إلى الدكتور أيمن وهي تتذكر أول لغز لها، ومن ثم قالت: «ولكن اللغز السابق تطلب منا يومًا واحدًا فقط!».

تنهد الدكتور أيمن متزامنًا مع رد البروفيسور يوسف لها قائلًا: «إن هذا اللغز مختلف يا ريم».

تساءلت ريم: «وكيف يكون مختلفًا؟».

أجابها البروفيسور يوسف: «لدينا الآن أربعون

ورقة قديمة بعض الشيء، لا ترتيب فيها ولا يسعنا تحديد نمط ترقيمها حاليًا، في هذه الأربعين ورقة توجد خمس خرائط ورسالة وورقة مملوءة بالأسئلة.. ثانيًا: لقد سمعت صوتًا مكتومًا لسقوط شيء، ولكنك لم تريه ولم نجده وعلينا معرفة كنهه.. ثالثًا: علينا أن نعرف ما هو اللغز الذي نسعى إلى حله.. معرفة السؤال هو نصف الإجابة يا ريم».

أمالت ريم رأسها لاستيعاب ما قاله البروفيسور يوسف، حينها قام الدكتور أيمن بجمع الأوراق وتسليمها لريم التي لم تفهم المغزى من تصرفه هذا.. تطلعت إليه متعجبة...

أخذ الدكتور أيمن نفسًا عميقًا ومن ثم قال لريم: «حاولي قراءة كل ما فيها هذه الليلة وحاولي إيجاد شيء متشابه، أي شيء بين هذه الأوراق، أي نمط».

ومن بعد جملته الأخيرة انطلق الدكتور أيمن خارجًا من المكتبة بسخط شديد...

تعجبت ريم، فهي لا تعلم سبب هياج وغضب الدكتور أيمن، إلا أن البروفيسور يوسف تنهد محركًا رأسه لليمين واليسار أن لا فائدة...

تطلعت ريم إلى البروفيسور يوسف قائلة: «أعليّ حقًا أن أفعل هذا وحدي؟!».

رد عليها البروفيسور يوسف آسفًا: «يا صغيرتي، عليك أن تفكري هذه الليلة، وإن لم تصلي إلى حل، فنحن موجودون غدًا للنقاش».

ومن ثم تنهد البروفيسور يوسف وأردف قائلًا: «إن أول من قام برسم الخرائط هم الآشوريون والفراعنة ثم الفينيقيون، كما صور الإغريق والرومان الخرائط لأغراض حربية ولمعرفة الطرق التي تربط بين المدن، كما عرف العرب الخرائط ورسموا العديد منها، واشتهر منهم (الإدريسي)

خاصة الذي اهتم برسم الخرائط البحرية مستعينًا في ذلك بالبوصلة والأسطرلاب..... فكري بهذا أيضًا».

سجلت ريم بمذكرتها الإلكترونية المعلومة التي سمعتها، ومن ثم هزت رأسها باستسلام واستأذنت للذهاب إلى منزلها.

وفي طريق العودة للمنزل، لم تنطق ريم ببنت شفة، فاستعجب والدها هذا منها، فبادرها بالسؤال: «أهذا كله من وقع امتحان الدكتاتور؟!».

ابتسمت ريم، فهذا ما كانت تطلقه على محاضر مادة الكيمياء التجريبية.. هزت رأسها أن نعم، بالرغم من أنها نسيت تمامًا التجربة المرعبة التي مرت بها في الامتحان.. ابتسم والدها وربت على كتفها وتابع قيادة السيارة بهدوء، ومن ثم أردف قائلًا: «أتعلمين يا ريم؟ لقد حجز لنا عمك جزيرة (الساحل) لتقضي العائلة كلها عطلة نهاية أسبوع رائعة، أمامك يومان، حاولي أن تخططي وتستمتعي بها».

امتعضت ريم بداخلها، واقشعر بدنها لسماع هذا الخبر.. إنها لا تطيق هذا العم أبدًا..

على الرغم من ذلك ابتسمت ريم تكلفًا قائلة: «إن شاء الله»، لكنها في قرارة نفسها لم تشعر بالفرحة والتشوق للذهاب.. وفي عقلها عصف من الأفكار، أمامها سبعة أيام تنتصفها عطلة نهاية الأسبوع، يا ترى هل ستكون العطلة هادئة؟!

أسئلة كثيرة راودت ريم...

لكنها لم تكن تعلم أنها كانت تتنبأ بالذي سيحدث قريبًا..

قريبًا جدًا..

لم تتناول ريم عشاءها بشكل جيد، لقد التهمت بضع لقيمات، ثم تمنت لعائلتها ليلة سعيدة معتذرة منهم ومعللة انسحابها المبكر بسبب الإرهاق من الضغط الدراسي المتواصل في الفترة السابقة..

تناهى طرق على باب غرفة ريم، لتدخل أريام ويتبعها نادر، نادر نسخة من أريام لكنه أطول منها، وهو في طول ريم، أي ما يقرب مترًا وخمسة وستين سنتيمترًا. التفتت ريم إليهما ورفعت حاجبها الأيسر مستفسرة.

«أحقًا مرهقة أم أنك تعلقت بأحد ما في الجامعة؟!». سألتها أريام بجدية، ودفع نادر أريام جانبًا ليقف أمام ريم: «حقًا! من هو هذا الصعلوك؟!».

أجابت ريم معترضة نافية غير مصدقة لما يقولانه: «لا أحد صدقًا، أنا مشغولة بالجامعة جدًا» قالتها ريم صادقة، فجمعية (خطوات) استأثرت بوقتها، حتى أنها لم تخطر لها هذه الفكرة أبدًا!

من ثم ابتسمت ريم فجأة: «أمشتاقان إليّ لهذه الدرجة؟!».

احمر خدا التوأمين وحاولا نفي الحقيقة، فهي الآن تمازحهما بالكاد وتقضي وقتها معهما. رفعت ريم يديها وعبثت بشعر كل منهما قائلة: «لا تقلقا، سأتصدق بوقتي لكما في عطلة نهاية الأسبوع».

ضحك كل من التوأمين «هذا وعد». قالاها بتزامن وخرجا من غرفة ريم متمنيين لها ليلة سعيدة.

بعد أن خرج كل من التوأمين، أخذت ريم حمامًا دافئًا، وتوضأت مما ساعدها في تخفيف توترها قليلًا، ومن بعد صلاة العشاء، جلست على سريرها ناثرة الأوراق حولها لتقرأها...

خمس خرائط موزعة على خمس أوراق، ثلاث أوراق عليها أسئلة، وباقي الأوراق إما رسالة أو قصة أو جزء من كتاب...

فصلت ريم الخرائط ووضعتها أمامها، وفصلت الأسئلة ووضعتها على المنضدة المجاورة لسريرها، وظلت ترمق الأوراق المتبقية....

ما زالت الساعة التاسعة مساءً، أمامي من الوقت ما يكفي.. كنت متوترة.. أخذت نفسًا عميقًا عن طريق أنفي وأخرجته ببطء من فمي بغية الاسترخاء، كررت العملية ثلاث مرات حتى استطعت تخفيف الشد في معدتي وتصفية ذهني أكثر..

سميت باسم الله، توكلت على الله...

لأبدأ بالخرائط.. هممممم.. قبل أن أحاول قراءة الخرائط عليّ أن آتي بمفكرتي الإلكترونية لأدون الأفكار التي ستساعدني في حلها... التقطت مفكرتي من على المنضدة وبدأت أدون:

أولًا: كيف أقرأ الخريطة وأصنفها.

ثانيًا: فهم الخريطة وتلخيص أهم الرسائل التي سأستنتجها.

ثالثًا: ربطها بما سأقرأه في الاثنتين وثلاثين ورقة الباقية وأوراق الأسئلة.

حسنًا... تنهدت... قرأت ملاحظتي التي دونتها مما قاله البروفيسور يوسف عن تاريخ الخرائط... تمتمت «البوصلة والأسطرلاب»... توقفت قليلًا عند كلمة الأسطرلاب وتذكرت الأسطرلاب القديم الذي وجدته مع البروفيسور يوسف في المرة الأولى..

لا أعرف لم، ولكني وضعت ملاحظة بأن أفحص ذلك الأسطرلاب وألقي عليه نظرة..

ممم.. حسنًا.. أظن هذا يكفي فيما يخص تاريخ الخرائط...

حسنًا، أمعنت النظر في الخرائط التي أمامي.. مممم... إنها معدمة من الاتجاه ومفتاح الخريطة ولا يوجد لها عنوان.. غريبة... كثير من النواقص!!!!

فجأة جال في خاطري تساؤل، لم لم يستخدم الدكتور أيمن أو البروفيسور يوسف أنظمة الذكاء الصناعي لتحليل الخرائط؟!

دونت السؤال، ومن ثم انتبهت إلى حقيقة عدم وجود أي نوع من الأجهزة اللوحية الذكية أو الحاسوبية أو الذكاء الافتراضي، أو حتى الواقع الافتراضي في المكتبة! لماذا؟!

دونت ذلك كسؤال أيضًا...

صورت الخرائط باستخدام مذكرتي وعالجتها في برنامج لقراءة الخرائط... لم يتعرف البرنامج إلا على خريطة واحدة منها فقط..

وعمرها ما يقارب الـ 300 عام!!!

دونت ملاحظاتي، جزيرة تواجدت جنوب سواحل القارة الأوروبية....

ممم.... هل لها علاقة بالقصص والخرافات الإغريقية أو الخاصة بتلك المناطق؟!... لقد تغيرت جغرافيا العالم في الألفية السابقة، خاصة فيما يخص الجزر، هناك جزر اندثرت وأخرى صعدت للسطح....

رمقت الخرائط الأربع المتبقية.. ذكّروني أن ألتحق بقسم الجيولوجيا أو الجغرافيا أو علوم الطبيعة، لربما تمكنت من قراءة إحداها...

تثاءبت، رمقت الأوراق الثلاثة المتضمنة الأسئلة:

الأولى: ورقة قديمة تلاشت معظم حروفها، حاولت أن أقرأ ما تبقى منها

«معنى.. طقس.. قُداس.. الخامد»

والورقتان المتبقيتان كأنهما مكررتان!!!

لديهما نفس النمط، كتب عليها كالتالي:

«ماذا سيحدث لو أعيدت التنانين، وأسلحة الحرب، وميادين النزال؟».

ممم.. هل نحن في خضم خوض ملحمة إغريقية لاتينية؟! هل سأغوص في عوالم الإلياذة والأوديسا؟!

أم العوالم القديمة في الشرق الأوسط أو الشرق الأقصى؟!

أم عوالم خيالية جديدة؟!

تصفحت الأوراق الباقية، لم أفهم ما فيها، لكني أعدت قراءتها لساعتين كاملتين، حاولت استخراج نمط من كل منهما..

وجدته.... هنالك نمط... متكرر....

القصص تحكي مذكرات مزارع شاهد تضحية برضيعه لاستحضار كائن أسطوري... نفس المزارع في كل الأوراق الثلاث له ثلاث روايات: إحداها ترمي إلى أن زوجته هي من قدمت رضيعها قربانًا.. والثانية تحكي صراعه مع الفقر وقيام المزارع بوضع رضيعه على المذبح قربانًا لطقوس استحضار كائن أسطوري يعدهم بالثروة والذهب.. الرواية الثالثة بشعة جدًا، تُحكى من قبل طرف ثالث، أن المزارع وزوجته وطفله قُدّمت أكبادهم كقربان لطقوس شيطانية....

رمقت مصباح منضدة النوم وقلبي يخفق خوفًا...

لسبب غريب أصبت بقشعريرة، وقلبي بدأ يدق بقوة... يداي ترتجفان... وخاطرة في عقلي «لا أريد أن أمر بتجربة مع عبدة الشياطين».

وأغلقت عيني ودموعي تتحدر.. نعم.. أنا مرتعبة.. مرتعبةٌ جدًا...

حضنت مخدتي وحاولت تهدئة نفسي....

«يا الله، يا نور، يا رحمن، هدئ روعي».

نعم يا ريم... نعم.. اتصلي بالله...

أنت أحوج إلى رحمته....

وحمايته...

«ما زلت هنا؟!».

رفع البروفيسور يوسف رأسه لسؤال صديقه الدكتور أيمن الذي كان للتو داخلًا من مدخل المكتبة..

تفاجأ الدكتور ايمن: «هل قضيت ليلتك هنا يا يوسف؟».

هز البروفيسور يوسف رأسه بالإيجاب، لكنه لم يتكلم..

وضع الدكتور أيمن حقيبته على الطاولة في منتصف القاعة ومشى إلى المكان الذي كان البروفيسور يوسف جالسًا عنده، بقرب إحدى الزوايا، وضع يده على كتف البروفيسور يوسف قائلًا: «ما بك؟».

- «أنا قلق يا أيمن... فلنتوقف الآن..».

سكت الدكتور أيمن قليلًا، ومن ثم نظر إلى عيني البروفيسور يوسف القلقتين ولاحظ هالاته السوداء التي تشير إلى قضائه ليلة قلقة شحيحة في النوم...

وفكّر: *ربما يكون قرار حكيم، فنحن لم نتحرك إلا للغز واحد حاليًا، وهذا الثاني الذي من أول وهلة اعطانا شعورًا بالرهبة والتوتر..*

تنهد الدكتور أيمن ونظر إلى البروفيسور يوسف وقال: «حسنًا».

«أتعني ذلك؟!».

قالها البروفيسور يوسف غير مصدق..

«نعم، لم المخاطرة الآن؟ سأحاول أن أقنع القزم بإعادة فتح اللغز بعد أن تستقر ريم وتألف طبيعة عملنا».

أطلق البروفيسور يوسف تنهيدة طويلة، وأسند رأسه على الكرسي وقال مبتسمًا: «حسنًا».

هز الدكتور أيمن رأسه ومن ثم دخل الباب في طرف القاعة المؤدي إلى مكتبه...

ويلحقه صوت شخير البروفيسور يوسف الذي غلبه النوم بعد قرارهم هذا..

لربما كان هذا قرارهم..

لكن، هل تنتهي القصة هنا؟!

للأسف... فما زالت عجلتها تتحرك..

وتتسارع..

تتسارع جدًا..

«سحقًا! لم إذن سهرت ليلة كاملة مثقلة الهموم والمخاوف؟!».

قالتها ريم معاتبة الدكتور أيمن والبروفيسور يوسف...

ابتسم البروفيسور يوسف قائلًا: «صغيرتي، قررنا

هذا الصباح فقط».

- «حسنًا، إذًا ماذا علي فعله؟».

مد الدكتور أيمن يده لتسلم الأوراق من ريم التي قامت بإعطائه الأوراق بدورها...

نظر إليها الدكتور أيمن قائلًا: «على الأقل باستطاعتنا الاستماع إلى ما استنتجته، وتدوينه إلى أجلٍ مسمى».

هزت ريم رأسها موافقة، ومن ثم قالت: «أغلب الظن أن الهدف من الخرائط هو تحديد أماكن لطقوس معينة لاستحضار كائنات أو كيانات، أقل عمر لها هو 300 سنة، أو لتحديد وجود هذه الكائنات أو الكيانات في تلك المناطق التي أثرت على ثقافة أهلها، أو لاكتشاف آثار معينة في تلك المناطق».

هز الدكتور أيمن رأسه، ثم دس الأوراق في حقيبته..

عم صمت في المكان، ومن ثم سألتهما ريم: «لم لا توجد أنظمة ذكية في هذا المكان؟».

رد عليها الدكتور أيمن: «لأنها لا تعمل هنا، وثانيًا نحن ممنوعون من تحميل هذه المعلومات في أي شبكة اتصال أو شبكة معلومات».

- «للسرية؟».

- «نعم، ولأمور أخرى».

- «مممم... هل تم استغلال المكتبة بشكل سيئ سابقًا؟».

انصدم كل من الدكتور أيمن والبروفيسور يوسف من تساؤل ريم، حيث نظر إليها الدكتور أيمن باقتضاب: «ماذا تعنين؟!».

- «هل واجهتما حوادث في الماضي؟».

رد البروفيسور يوسف بسرعة: «جزء من عملنا يا ريم.. جزء من طبيعة عملنا».

نظرت ريم إلى البروفيسور يوسف وقالت: «حسنًا، ماذا علي الآن فعله؟».

رد عليها الدكتور أيمن: «التزمي بمحاضراتك وأنشطتك وإجازة نهاية أسبوع سعيدة».

قالها وهو يقتاد ريم إلى مدخل المكتبة الرئيسي، لم يعجب ريم الخروج المقتضب، نظرت للخلف ولوحت للبروفيسور يوسف الذي بدوره قال: «استودعتك الله».

ابتسمت ريم وغادرت..

نعم يا يوسف..

استودعتها الله...

فهي الآن في رحمته..

رحمته فقط..

«ريم..... ريم.... رييييم».

جفلت من صوت أمي وهي تحاول إيقاظي..

- «اصحي يا كسولة، لدينا جدول حافل، عمك ينتظرنا في الجزيرة..».

- «آه، الجزيرة.. اليوم.. هل يجب علي أن أذهب؟».

قلتها لأمي وأنا في قمة الكسل، لا أريد أن أتحرك من السرير..

نزعت أمي غطاء سريري ودغدغتني قائلة:

- «كفى نومًا... اصحي لنستمتع «.

- «حسنًا، حسنًا.. قادمة».

خرجت أمي من غرفتي وهي تغرد بضحكتها

كعادتها، بعدها سحبت نفسًا عميقًا.. مططت جسدي وقمت لأتجهز، فأمامي مغامرة..

نعم يا ريم..

مغامرة..

لن تنسيها..

طول حياتك..

مغامرة بحياتك...

صوت البحر، قدماي تعانق رمال الشاطئ، وخطواتي ترقص عليها.. يا الله.. ما أجمل المكان!

عبثت بشعري وبعثرته ليلامس هواء البحر العليل.. روحي أحس بها منطلقة، فاليوم أنا حرة..

♫ طاخ!!! ♫

«آه.. نادر.. هذا مؤلم!».

ضحك أخي نادر، وركض يلحق بكرته دون اعتذار بعدما اصطدمت برأسي!

تتبعه أريام وهي تقهقه من ورائه...

ضحكت من لهوهما وعبثهما الطفولي، أخي وأختي ذوي الخمسة عشر ربيعًا..

- «ريم.. أتريدين بعضًا من حلزون البحر المشوي؟».

- «حلزون مشوي! أفضل السلطعون».

- «حسنًا.. ريم التقطي هذه».

التقطت ما رماه إليّ عمي... أهي صدفة؟ أم بلورة؟ خضراء اللون كأنها تشع، بحجم حبة البندق.. راقبت عمي ووالدي يحضران مأدبة الشواء، أمي وزوجة عمي تتمشيان على خط الساحل المقابل.. أخي

وأختي يلعبان مبتعدين عني...

ومن ثم رجعت أتأمل البحر ممسكة بالبلورة، أفرك أصابعي عليها.. وتذكرت الخرائط، سرتُ في جسدي قشعريرة.. هززت رأسي بقوة أنفض التفكير في الموضوع، وضعت سماعتي أذني وشغلت مقطوعة موسيقية وطفقت أرقص على شاطئ البحر، كراقصة باليه...

لا أدري.. أكانت دقائق أم نصف ساعة مرت عليّ وأنا على هذه الحال!..

غريبة!!

أين رائحة الشواء؟!

صوت أخي وأختي اختفى! هل يأكلان؟!

فتحت عينيّ!!

لحظة.. عيناي كانت مغلقة؟!

فتحت عينيّ فجأة، جلست... كنت نائمة على الشاطئ! تلفتُ حولي.. أين الجميع؟!

ووقفت..

أمامي بحر وشاطئ وخلفي أدغال...

«أدغال!!!!!».

تسمرت في مكاني، أغمض عينيّ وأفتحهما بقوة..

هل ما زلت أحلم؟! ولكن كيف؟!

كنت أرقص على الشاطئ وفجأة أنا هنا؟!

أين هنا؟!

ناديت: «أمي.... أبي... نادر.... أرياام... عمي.. عمتي».

نظرت للسماء الزرقاء، لا أريد أن أتحرك..

أنا خائفة!..

خائفة!..

تذكرت المكتبة..

لكن ذلك في المكتبة؟!

أين أنا؟!

تقدمت إلى الغاب وقلبي يطرق كالطبول، جسدي يرتجف..

تك ♫

تسمرت في مكاني.. التفت لمصدر الصوت..

تك ♫ أخرى.

هنالك من يمشي في الغابة، كتمت أنفاسي، لا تسألني لماذا، لا أدري...

كل الذي أعرفه..

«اهربي».

سمعت التحذير الذي قطع حبل أفكاري، وانطلقت أجري كالمجنونة، وخلفي صوت حوافر تجري ورائي، ظَلَلْت أجري وألهث، أدوس على أغصان، وأنحني لأتفادى أغصانًا أخرى، أقفز، وأركض وأركض..

ما زال صوت الحوافر التي تجري تلاحقني، صوت تهشم، التفت ورائي لكن لا أرى شيئًا ومن ثم

طاخ!! ♫

تعثرت بالأغصان وجذور الشجر، سقطت وارتطمت بالأرض وتدحرجت لمسافة لا أعلمها... توقف جسدي وكل ذرة تئن فيه..

لم أستطع التحرك من مكاني، متسمرة من الألم وأنظر باتجاه مصدر الصوت وأتخيل انقضاض الوحش ليلتهمني...

يا ربي.. دموعي بدأت بالتساقط.. بدأت بالنحيب..

- «لا أريد أن أموت.. لا أريد أن أموت».

- «لن تموتي».

وجدته هناك، على يميني ماذا يده، أصبت بالدهشة! لم أتحرك، تقدم بسرعة إليّ ومن ثم جرني إليه، وحينها سمعنا صوت تحطم الشجر وتكسر الأغصان... ويتحطم الشجر.. ويتحطم..ويقترب الصوت... ويقترب.. صوت زفير مخيف لوحش.. زفير أقوى..

«شششش»

خرجت من منقذي..

هززت رأسي أن نعم..

وفجأة خرج.. خرج ما كان يلاحقني... حصان وحيد القرن!!!

كنت سأشهق من الدهشة ولكن منقذي كتم صوتي بوضع يده على فمي..

وحيد القرن كان يتشمم المكان الذي كنت فيه ويتلفت..

«لن يرانا» همس بها منقذي.

هززت رأسي بالإيماء مصدقة، وكيف سيرانا ونحن في مكان أشبه بخيمة أو غرفة من الفضاء تغطينا!! ونرى ما يقبع بعدها كوضوح الشمس...

فجأة جفل حصان وحيد القرن وانطلق يركض إلى وجهة أخرى وتوغل في الغاب...

«ماذا تفعلين هنا؟!».

قالها غاضبًا، نظرت إلى القزم مستغربة...

لم أستطع الكلام، فجسدي كله كان ينتفض ويرتجف وحلقي جاف.. جاف جدًا..

«هاه.. اشربي هذا يا طفلتي».

أمسكت قنينة الماء شاكرة وجرعت جرعة..

فجأة سحب القزم الغرفة التي كنا فيها.. كيف سحبها؟ لا أدري! اختفت في ساعته..

- «لم أنت هنا طفلتي؟! ألم تصلك رسالتي؟!».

- «أي رسالة؟!».

- «كيف جئت إلى هنا؟!».

- «أين هذا المكان؟! كنت في جزيرة (الساحل) مع أهلي».

- «جزيرة (الساحل)!! كيف؟! الجزيرة مغلقة منذ خمس سنوات!».

وفجأة جفلنا لسماعنا صوت زئير حيوان ما في البعيد...

تنهد القَزم، حك لحيته؛ ومن ثم قال: «أتبعيني».

تبعته دون أن أنطق ببنت شفة...

لأن عيني كانت ترى العجب..

هذه الغابة، ليست بغابة.... ليست بغابة أبدًا!...

نعم يا ريم...

نعم يا صغيرتي وطفلتي..

مرحبًا بك في عالمنا...

♫ طق طق ♫.

صوت النار في الحطب وأنا أراقبها.. لا شيء، لا شيء مفهوم ومنطقي...

«أين نحن؟!» ألقيت سؤالي للقزم، تنهد وهو يمد يده لي بكوب من الشاي: «اشربي هذا يا طفلتي».

زممت شفتي، هو مصرٌ على مناداتي بطفلة.. أنا لست طفلة!

«اسمي ريم».

ضحك القزم قائلًا: «أعرف يا طفلتي».

تنهدت.. شربت الشاي الدافئ، ونظرت إلى قاع الكوب.

«أين نحن؟» كررت سؤالي وقد خنقت دمعة لكي لا تهرب.

تنحنح القزم قائلًا: «على جزيرة».

- «أين والديّ وأخي وأختي ؟».

- «على الأرض».

- «الأرض!!». كررت الكلمة، غير مستوعبة لما قاله! الأرض!

ومن ثم انفجرت سائلة: «أين نحن؟».

تنهد القزم قائلًا: «طفلتي أنت غير مستعدة».

«غير مستعدة لماذا؟! لماذا تماطلني؟!» قلتها غاضبة.

ابتسم القزم بتفهم وحنان وطبطب على رأسي قائلًا: «أتظنين أن المكتبة هي البقعة الوحيدة في هذا الكون المتصلة ببوابات وعوالم أخرى؟».

نظرت إليه والدهشة تعتريني.. لم أنطق.. لا أستطيع هضم الفكرة... بوابات! عوالم أخرى! ألم تكن مبنية على حضارات سابقة؟!

- «هل جزيرة الساحل جزء من ذلك؟».

- «أوه لا يا طفلتي».

- «إذن كيف جئت إلى هنا؟».

- «هذا ما أود معرفته».

نظرت مصدومة إلى القزم، كان مبتسمًا، على الرغم من شعوري بسريان ماء مثلج في صدري من الخوف والرهبة، إلا أنني سرحت ودققت في

ملامحه... هذه التجاعيد... الشعور الذي يعتريني كلما نظرت إليه بأنه كبير.. كبير جدًا في العمر.. وعندها سألته: «مممم.. سيادة العميد».

- «نعم طفلتي».

- «كم عمرك؟».

فجأة انفجر القزم بالضحك..

- «ولم عمري يا طفلتي؟».

نظرت إلى لحيته الطويلة التي اهتزت مع اهتزاز جسمه بانخراطه في الضحك.

- «كبير.. كبير يا طفلتي».

نظرت إليه بعدما هدأ من موجة الضحك التي اعترته وسألته: «ماذا علينا فعله الآن؟».

- «آه.. طفلتي.. لربما وجب عليك انتظاري».

- «لم؟ أين ستذهب؟».

- «عندي مهمة في هذا المكان، وبسبب وجودك يتحتم عليّ أن أنهيها قبل وقتها ونعود إلى الأرض».

سرت في جسدي قشعريرة على ذكر الأرض، تشكل سؤال في حلقي: «كيف سنعود؟!».

- «لديّ طرقي».

- «أين أنا؟!».

- «ليس مهمًا الآن».

- «أستتركني وحدي؟!» ارتعبت للفكرة.

- «سأؤمن محيطك ولن أتأخر، صدقيني، فهنا آمن لك مئة مرة».

ظللت أنظر إلى لهب النار بإحباط لتكتُمه، صمت برهة وقلت له: «أنا خائفة!».

- «جميل».

- «ما الجميل في الموضوع؟!» انفجرت غاضبة.

- «من المهم مراقبة مشاعرك ووعيك للتحكم فيها، أو بالأحرى لقيادة حاضرك».

ظللت فاغرة فاهي أحاول أن أستوعب كل كلمة نطق بها..

حينها أردف: «ريم.. طفلتي..اصنعيـــ»

قاطعته قائلة: «أصنع ماذا؟!».

- «اصنعي واقعك».

حدقت في وجهه.. أنتحدث نفس اللغة لأني لم أستوعب؟!! كررت الكلمة: «الواقع!».

- «نعم، ممْ تخافين صغيرتي؟».

- «لا أعرف أين أنا!».

- «لكني أنا أعرف وسأحميك وأعود بك، هل هذا يكفي؟».

- «أهلي لا أعرف عنهم شيئًا».

- «سيكونون بخير».

- «لا أعرف..»

قاطعني الْقزم قائلًا: «وماذا لو عرفت؟».

- «ماذا؟!».

- «وماذا لو عرفت؟ ما بيدك؟».

سكت، لم أعرف الجواب..

- «انظري حولك».

نظرت.. كهف، نار في المنتصف وأنا وهو مفترشان الأرض..

سألني: «ما ترين وتعرفينه الآن؟».

أجبته: «أنا، أنت، نار وكهف».

- «ممتاز».

تعجبت.. لم أفهم!

- «طفلتي، هل تعرفين المستقبل؟ أليك علم الغيب؟».

- «لا».

- «إذًا لم القلق؟ لم الخوف؟ أنت هنا الآن، ركزي هنا، ركزي مع ريم، ركزي في حاضرك، تعين حاضرك؛ ومن ثم تطوعين ماضيك وتصنعين واقعك، وهذا يحدد اتجاهاتك المستقبلية».

دفنت رأسي في ركبتي، اغرورقت عيناي بالدموع وبكيت والقزم يطبطب علي: «لا بأس، أفرغي ما في جعبتك من مشاعر، أطلقي كل هذا للعنان».

لا أدري كم جلست على هذه الحال! لكن عندما فرغت ورفعت رأسي كان القزم نائمًا فاغرًا فاه.. بشكل.. ف.. فكاهي... فكاهي جدًا..

ضحكت ضحكة طفولية قصيرة، وأطلقت تنهيدة طويلة خرجت من صميم قلبي..

- «نعم، كنت أحتاج هذا التفريغ» شعرت بامتنان لشكل القزم الفكاهي النائم..

لأنام الآن..

و تك.. ♫

جمدت في مكاني، صوت يأتي من مدخل الكهف، مددت رجلي أحاول هز القزم بها لإيقاظه، لكن لا فائدة..

♫ تك.. خش.. خش

هناك من يمشي و..

ما رأيت إلا قرونًا ضخمة كقرون الوعل تطفو عند المدخل وتتقدم، وعينا حيوانٍ ما تلمع في الظلام... ارتعبت.. ارتعبت جدًا... ومن بعدها.. لا شيء..

لا شيء.... ظلام...

ظلام يا بطلتنا...

ظلام..

لكن، هل سيدوم؟؟

لا ظلام إلا وبعده نور....

«أيمن.. أيماااااان»

خرج الدكتور أيمن من مكتبه في (دار الكتب القديمة) إلى القاعة مسرعًا فزعًا مستغربًا من صراخ البروفيسور يوسف!!

- «يوسف.. ما بك؟!».

- «ريم».

- «ما بها؟».

- «لم تعد».

- «ماذا؟!».

- «لم تعد يا أيمن.. ماذا نصنع؟!».

- «والقرم؟».

- «لا أثر له.. قال شهر.. شهر يا أيمن!».

- «هدئ من روعك وأخبرني ما الذي حدث؟».

- «كانت على جزيرة مع أهلها، وفجأة اختفت، وظلوا يبحثون عنها لكن دون فائدة، وعند تبليغ السلطات اكتشفوا أن الجزيرة ممنوع التخييم عليها».

- «كيف وصلوا للجزيرة؟».

- «لا أعلم، ولكن بسهولة».

- «منذ متى وهي مختفية؟».

- «منذ يومين».

جلس الدكتور أيمن على الكرسي في منتصف

القاعة، وأسند رأسه بين يديه يفكر.. تبعه البروفيسور يوسف الذي ألقى بجسده على الكرسي المقابل وظل يرمق آلة الطباعة اليدوية....

«معقول يا يوسف؟! معقول؟! كيف تختفي؟! ولماذا؟!».

- «لم يجدوا لها أثرًا، لا على الشاطئ ولا في البحر، هاتفها المحمول ملقى في نفس البقعة التي شوهدت فيها آخر مرة!!».

تمتم الدكتور أيمن: «ريم.. يا رب أن تكوني بخير».

وهنا انفتح الباب الرئيسي للمكتبة ودخلت أحلام، جفل كل من البروفيسور يوسف والدكتور أيمن عند رؤيتها، تقدمت إليهما تعتليها ابتسامة، حيتهما قائلة: «مرحبًا، أنا أبحث عن ريم، هل هي هنا؟»

تبادل النظرات كل من الدكتور أيمن والبروفيسور يوسف..

تنحنح البروفيسور يوسف قائلًا: «في الحقيقة___»

قاطعه الدكتور أيمن قائلًا: «في الحقيقة لم نرها بعد».

هزت أحلام رأسها وحيتهما وهمت بالخروج، وهما يتبعانها بنظراتهما، لكنها توقفت عند الباب والتفتت إليهما، رفعت رأسها قليلًا قائلة: «سرتني رؤيتكما مرة أخرى».

ارتجف البروفيسور يوسف في مكانه، وقطب الدكتور أيمن حاجبيه وصك أسنانه ببعضها كاتمًا غضبه ونفس الخاطرة تجول بداخلهما **(إنها تذكر كل شيء)**.

ابتسمت أحلام وخرجت مغلقة الباب وراءها...

تعتليها ابتسامة..

ابتسامة مرعبة..

مرعبة للغاية..

جسدي بوضع أفقي غريب، يتمايل يمنةً ويسرةً، بطني يؤلمني، يداي متدليتان للأسفل..

ما زلت أحاول أستوعب ما يدور حولي.. أنا معلقة على كتف أحدهم!

سرى رعب في جسدي.. رجلاي متدليتان من الطرف الآخر، وهناك يد قوية تثبتني بإمساكي بقوة من ركبتيّ...

من الذي يحملني؟! لا أعرف!... قلبي جُنّ جُنُونه وكأنه سيبرح من مكانه...

شعري المتدلي يحجب الرؤية عني..

حاولت رفع رأسي، لا أرى إلا الشجر.. شجرًا كثيفًا.. نظرت للأسفل لأرى أرجلًا ضخمة

وتنورة من جلد حيوان ما، بينما تنتاب أنفي روائح الغاب الممزوجة بالتوابل والياسمين والطين!!

ما زال جسدي يتمايل يمنة ويسرة ويرتطم بظهر الشخص الذي يحملني، بين فترة وأخرى أرمق الطريق الذي جئنا منه، وأتساءل متى سينقذني القَزم؟!

بعد فترة ليست بالقصيرة دوى قرع طبول قوي جدًا، أجفلت منه وشهقت، وإذا بجسدي يرتفع.. أطير!!

«آآه» خرجت من فمي معترضة!! مخالب.. مخالب تؤلمني.. تعصرني من منتصف جسدي.. بقع دماء.. أرى أثر الدماء الخارجة من ثيابي.. اختنقت

صرخاتي في حلقي: يا ربي... أنقذني... القرم أنقذني...

بعدها وجدت صوتي نفسه وخرج من حنجرتي صارخًا باكيًا: «أنقذوني، يا إلهي أنقذني».

توقفت الطبول فجأة، وجرى لغط أجفلت منه، نظرت حولي، هم.... من هؤلاء؟!

من هؤلاء البشر!! أحيوانات!! قرون!

أحيوان بشري؟! أم بشري بصفات حيوانية!!

أم مخلوقات لا نعلمها؟!

دققت النظر إليهم وقد عضضت شفتي أكتم الألم الحارق الذي تركته المخالب على جلدي..

جمعٌ غفير، وأنا في منتصف ما يشبه مدرجات حجرية، المخلوقات ترتدي ثيابًا بدائية جدًا، الرجال بالتنورات الجلدية عارية صدورهم، والنساء بأثواب من جلود أو قماش ما، تكسوهن من أكتافهن إلى أرجلهن... وكلٌ له قرون.. على اختلاف أشكالها وأحجامها وألوانها.. فمنهم من لديه قرون الظباء أو الغزلان أو الوعول، ومنهم من له قرنان جانبيان مستقيمان أو معوجان وغيرها... لا قرن يشبه الآخر!

أعينهم فاقعة الألوان، كألوان الطيف لا أستطيع عدها!

شعرهم ملون بألوان كالأسود والأحمر والبني والأبيض والأخضر والأشقر والأزرق وغيرها!

تعلو الجميع زينة من عظم أو حجر، سواء على شعورهم أو أعناقهم أو أيديهم...

هدأ الجميع وهم ينظرون إليّ.. شعري المنكوش وهندامي الملطخ بالطين والدم، بقع الدم على قميصي وبنطالي الممزق...

كم عددهم؟!.. مائتان أو أكثر.. صغارًا وكبارًا، شبابًا

وكهولًا...

سرى هدوء غريب وهم يحدقون فيّ.. بلعت ريقي خوفًا منهم وحرجًا من مظهري..

رفعت رأسي لأرى ما الذي يمسك بي، لاكتشف أنني معلقة فيما يشبه المخالب الضخمة لطائر ما.. المخالب مرتكزة بشكل عمودي على الأرض ومرتفعة بمقدار مترين... نصف جسدي العلوي ويداي محشورة فيه والنصف الاخر متدلٍ.. لا مجال للحركة..

تقدم رجل كهل يتوكأ على عصًا خشبية، طويل يقارب المترين، نحيل الجسد، ذو شعر أبيض يتدلى على عنقه، ولحية ممتدة إلى عظمة ترقوته، له قرنان بلون عشبي مطويان على بعضهما ويلتقيان كلولب أعلى رأسه، عيناه زرقاوان فاقعتان واسعتان، أنفه معقوف طويل وشفته صغيرة، يرتدي رداءً من كتان أزرق. يتبع الكهل مقاتلان مفتولا العضلات، تعلو وجهيهما خطوط بصبغة حمراء، وعلى وسطهما يتدلى ما يشبه السيف أو الخناجر العظمية، ضِخام الجثث ما يقرب المترين..

على الأقل ملامحهما ليست مخيفة.. إنما أنا مندهشة لجمالهما ولغرابتهما..

أهذا وقته يا ريم!!

اقترب الكهل مني وطفق يتحسس رأسي ويفرق شعري كأنه يبحث عن شيء ما..

وبدأ بالحديث.. طبعًا.. ماذا تنتظرون؟! بالتأكيد لم أفهم شيئًا!

ظللت صامتة، مرتعبة، أين القزم؟ وعدني بحمايتي! كنت معه في الكهف.. لم أنا الوحيدة هنا؟!

«آاااه» صرخت....

سرى ألم كالنار في يدي اليمنى.. عضضت على شفتي أكتم ألمي ودموعي تتدفق..

قام الكهل بجرح يدي المكشوفة بين مخلبين من المخالب الممسكة بي.. قام بجرحي بسكين من العظم.. تلطخت بالدم ورفعها...

فجأة تعالى الهتاف بصوت مدوٍ من الجميع لرفع الكهل السكين للأعلى كأنه يريها للجميع احتفالًا.. ومن بعدها قام بجرح صدغه!! وخرج دم أزرق!!

دمه اختلط بدمي، قرّب له أحد المقاتلين ما يشبه وعاءً خزفيًا صغيرًا ووضع فيه بلورة كريستالية شفافة بحجم حبة الفستق، أخرجها من مكان ما في ردائه الأزرق، ثم وضع السكين داخل الوعاء وبشكل غريب ينافي كل قوانين الفيزياء التي أعرفها تحركت قطرات الدم كلها إلى البلورة كأنها تجذبهم وغُلّفت البلورة بدمي ودمه ودخلت إليها...

ما قاموا به بعدها أفزعني..

قام أحد المقاتلين بإجباري على فتح فمي وإغلاق أنفي.. قاومت.. لكن بلا فائدة... أمسكني بقوة مؤلمة أغمضت فيها عينيّ.. وفجأة إذا بالكهل يدفع البلورة داخل فمي.. كنت سأموت.. سأختنق.. وابتلعتها... رغمًا عني....

ابتلعتها وأحسست بها تنزلق وتتحرك داخلي وطعم الحديد ملأ فمي.. طعم الدماء.. اعترتني رغبة عارمة بالتقيؤ.. بدأت أبكي.. المقاتل ما زال ممسكًا بوجهي بقوة.. إلهي أنقذني..

إني عاجزة.. عاااجزة...

خائفة...

لا حيلة لي... وأجهل ما فعله الكهل..

أحسست بحرارة تزداد في معدتي، يرافقها

إحساس بفقاعات تتشكل داخلي، وحينها... أطلقت أقوى صرخة في حياتي، صرخة ألم، جسدي ينهش من الداخل... و.. فقدت عقلي حينها.... فالألم لا يحتمل..

الألم كان الجلاد.. ينتشر في كل خلية بجسدي..

ينتظرني لينهي حياتي...

حياتي!!

حينها أيقنت أنها نهاية حياتي..

يا إلهي!! حياتي!!

نعم يا ريم..

حياتك انتهت..

تلك التي تألفينها....

«تبًا، لقد تأخرت».

قالها لاهثًا.. واقفًا على جرف التلة..

أدار ظهره وركض..

«الأولى فالأولى... أنهي مهمتي وأعود إليها..».

وبهذا غادر القزم الجرف الذي يطل على تلك المدرجات الصخرية بين الأشجار...

والتي يتجمهر الناس ذوو القرون فيها..

وفي المنتصف ريم..

ريم... الفاقدة للوعي..

ريم.. رحمها الله...

فجأة سقط أحد الكتب من الأرفف في مكتبة (دار الكتب القديمة).. جفل البروفيسور يوسف، وقفز

الدكتور أيمن راكضًا إليها..

«أهو من القزم؟!» ألقى البروفيسور يوسف السؤال على الدكتور أيمن.

أمسك الدكتور أيمن بالكتاب.. كتاب بني ثقيل مغلف بجلد سميك له رائحة عتيقة، يزين غلافه رسمة محفورة لقرون الوعل متشابكة فيما بينها وتنبت منها أوراق شجر في دائرة.. فك الدكتور أيمن لفافة الكتاب الجلدية وانفتح الكتاب من المنتصف.. الصفحات خالية.. بدأت كتابة في الظهور.. اقترب البروفيسور يوسف ليلقي نظرة..

«وعندما تجتمع الأكوان، وتُرسم الخرائط

وتُبعث الأساطير، حينها، لا مكان لكم،

ولا إرادة، إنه النداء الأخير».

سرت قشعريرة بجسد الدكتور أيمن، وجلس البروفيسور يوسف على الأرض بجانبه..

«ما معني هذا؟! تحذير أم تهديد؟؟ أمن القزم أو من مصدر آخر؟» قالها البروفيسور يوسف بصوت متقطع الأنفاس من الرهبة..

أخرج الدكتور أيمن مفكرته ودوّن الكلمات قبل أن تختفي، لحسن الحظ عندما فرغ الدكتور أيمن من تدوين الكلمات.. بدأت الكلمات بالتحول إلى دخان أسود غادرت فيه الصفحات وتلاشت أمام أعينهما!

- «ريم! الذنب يقتلني.. هل كنت سببًا في اختفائها؟»

- «لا أعلم يا يوسف، علينا إيجاد الخيوط لهذه المعضلة».

- «ولكننا تحركنا في كل مكان، في كل ممر، فتشنا كل غرفة، فتحنا كل كتاب، لا جديد ولا أثر».

صمت الدكتور أيمن، ألغازهم معقدة جدًا وبدون

الفزم لا حيلة لهم، هو أعلمهم.

- «ما نحن إلا قائمون على المكتبة، الطلاب الذين يختارهم الفزم هم التروس المحركة «.

- «وأين ريم الآن؟! في أي بقعة؟! ماذا لو حدث لها مكروه؟!»

لم يجب الدكتور أيمن، فهذا السؤال يعتصر قلبه ويقض مضجعه..

تمتم الدكتور أيمن: «ريم.. كوني قوية.. يا رب.. ألهمها وأرشدها».

ظلام... ظلام... ظلام...

ألم.. ألم.. ألم..

«كح كح كح.... هاه هاه....أووووع أووع».

لقد تقيأت للمرة الألف..

ومن ثم ظلام.. ظلام...

ومن بعيد جاءني الصوت **«لا ظلام إلا وبعده نور».**

لا ظلام إلا وبعده نور....

♫ طق طق ♫

انتبهت للصوت....

فتحت عينيّ المثقلتين...

ورأيته هناك، عجوز كهل كقدم الأرض، خطت التجاعيد أبياتها على كل خلية من جسده، أبيض البشرة، شعره أبيض طويل، ولحيته بيضاء طويلة إلى منتصف صدره.. كل ما فيه أبيض!

هندامه عبارة عن رداء أبيض طويل بنصف أكمام،

ورجله تحت الرداء بانت ملامحها بجلسته المتربع عليها...

عيناه واسعتان، بيضاوان لا قرنية بهما، ولكن لسبب أجهله كانت تشع وتدب فيهما الحياة!..

بيننا نار خفيفة الإضاءة.. المكان دافئ.. نظرت حولي كأنني بقبة بيضاوية بيضاء.. رفعت جسدي من على الأرض وجلست أنظره...

«ها أنت ذا».

خرج صوته الرخيم الهادئ مطليًا حكمة وقدمًا...

«من.. م .. من أنت؟ أي.. أين أنا؟!».

خرج صوتي متحشرجًا..

أشار إلى كأس فخارية فيها سائل شفاف، أظنه ماءً..

«اروي عطشك».

مددت يدي المرتجفة.. تناولت الكأس وشربت، كان ماءً باردًا.. بجانبي قطعة خبز التهمتها وكأنني لم آكل منذ قرون..

كنت أبلع وأشرب وأراقبه..

- «ما اسمك يا بنتي؟».

- «ريم».

- «تستطيعين مناداتي بهارون».

- «جدي هارون، أين أنا؟ وما الذي حدث؟».

ابتسم الكهل.. ظللت أراقبه أنتظر منه ردًا ومخي لا يكاد ينفك عن تذكر الأحداث التي مرت عليّ..

- «من أرسلك ابنتي؟».

- «أرسلني؟!».

- «نعم».

وفجأة جفلت من حركة ذيله.. ذيله!

قفزت واقفة وسقطت بعدها على الأرض.. رجلاي لا تستطيعان حملي، لم أقو على الحراك.. ذيل ذو جلد زواحف سميك، ذلك الذي يذكرك بجلد التماسيح، ذي المترين طولًا.. كان ذا لون أبيض.. ينتصف أعلاه خط يخرج منه ما يشبه الحرير أو الريش الحرير يمتد إلى آخر الذيل! أبيض كذلك!

«أين أنا؟!» قلتها مرتعبة.

وبعدها صدح المكان بصراخ وهتاف الالاف كالتي نسمعها في أي مباراة رياضية أو تجمع لحشود..

حدقت في وجهه فزعة.. فهو لم يجفل أو يتحرك من مكانه!

حاولت تحريك يدي، وانتبهت إلى وجود قيود وسلاسل على يدي ورجلي، لم تكن هنالك قبل! أم أنني لم أنتبه إليها؟!

بلعت ريقي ورفعت ناظريّ إلى هارون.. استجمعت شجاعتي..

- «جدي هارون، من أنت؟!».

- «أنتِ بشرية.. وأنا كنت بشريًا».

- «كنت؟!».

- «أجل».

- «ما الآن أنت؟!».

سألته وأنا أتبع السلاسل التي صوب جسده من اليمين والممتدة من الحائط وتختفي عند رقبته.. فقط رقبته!

- «هممم.. بعضهم يسموني تنين.. ولكني لست كذلك».

- «تنين! هل.. هل أ-أنا ف-ف-في قص-قصة؟!».

سكت وأمال رأسه لليمين وهو يمرر يده اليمنى يجمع لحيته من أسفل الذقن ويمررها إلى آخر

لحيته ويكرر العملية وكأنه يفكر..

سألته مرة أخرى: «هل.. هل أ-أنت حقيقة أم أنني أحلم؟!».

- «حقيقة يا صغيرتي ».

- «هنْ هنْ هنْ».

خرجت كلمات مني غير مفهومة وأنا أبكي وأحاول التكلم، أحاول سرد حكايتي وما مر بي إلى الان... انفجرت بكاءً، حاولت التكلم، حاولت بناء جملة مفيدة ولكن بلا فائدة، تلعثمت بلوعتي وخوفي وتشتتي....

«تنفسي يا بنتي».

قالها متعاطفًا، واضعًا يده على صدره وقد أخذ شهيقًا عميقًا مسموعًا وزفيرًا مسموعًا..

- «هنْ هنْ هنْ» كم أشتاق إلى علب المناديل! وطفقت أتمخط بطرف قميصي..

- «أجل، تنفسي» وبدأ يوضح لي كيفية ذلك حيث اعتدل في جلسته وصلب ظهره، وأبقى يده اليمنى على صدره، ويده اليسرى توضح لي حركة التنفس... شهيق عميق طويل، ثم زفير هادئ...

بدأت أحاكيه..

ظللنا على هذه الحال مدة من الزمن..

[تنج]

قفزت من مكاني، التفت إليه قائلة: «جدي هارون».

- «نعم صغيرتي».

- «هل سمعت الصوت؟... تنج».

- «أسمعت صوتًا في عقلك أو قلبك؟».

سكتُ برهة ثم أجبته: «ممم... أظن كأنه في أذني».

- «إذًا عقلك».

- «تنفسي بنيتي، راقبيني ».

قالها وبدأ يعيد نفس تمرين التنفس...

هل كان يتهيأ لي سماعي للصوت؟!

المهم لأحاكيه الآن... حاكيته مرة أخرى... وبقينا على ذلك مدة أطول.. وإذا برقاقات من الذهب تتشكل كدائرة أسفل مكان جلسته، وتبدأ بالارتفاع والدوران حوله بطريقة لولبية وبكل هدوء وروعة، كإعصار أسطوري يلتهمه، كلوحة فنية سلبت إرادتي وتسمرت عيناي بالنظر إليها... وفجأة عندما وصلت الرقاقات قمة رأسه، بدأت بالاتجاه نحوي، وتجمع جزء منها على رأسي وبدأت بالانحدار حولي بنفس الطريقة اللولبية الهادئة.. شعور دافئ اعتراني.. نور... رفعت رأسي أنظر إلى هارون.. كلانا محاط برقاقات الذهب هذه.. متصلين بخط من الرقاقات بين قمتي رأسينا...

«لا يوجد ظلام إلا وبعده نور».

شهقت.. تذكرت الصوت الذي كنت أسمعه عندما كنت نائمة أو غائبة عن الوعي..

- «أهو أنت؟».

- «نعم».

- «لم أنت مقيد؟».

- «لنفس سبب كونك مقيدة».

فجأة اعتراني خوف بعثر الرقاقات الذهبية وسألته: «أسأموت؟!».

- «لا تخافي حتى من الموت، فما بعده رب رحيم».

- «أأنت مؤمن بالله؟».

- «طبعًا».

ظللت أرمقه وبدأت دموعي بالنزول وقلت له شاكية: «لقد جعلوني أبتلع شيئًا».

- «من؟».

- «الذين جاءوا بي إلى هنا».

- «هممم.. لكنك لم يأت بك أحد.. أنت قدمت إليّ.. نحن متصلان أثيريًا».

كنت أحاول أن أشرب جرعة أخرى من الماء قبل أن ينهي جملته، ولكن.. سقط كوب الماء من يدي... «عفوًا! ماذا؟».

ابتسم هارون، وبدأ بالمسح على لحيته قائلًا: «أنت هنا.. ولكن جسدك وكل شيء هناك.. حيث تركته».

[تنج]

قفزت مرة أخرى عند سماع الصوت للمرة الثانية..

- «إني أسمع صوتًا في عقلي».

- «هممم... قد يكون الأثير».

- «وما هو الأثير؟».

- «هممم.. هو العالم.. هو العوالم.. هو الكون... أعظم وأكبر مني ومنك.. يخضع لقوانين كونية لا نعلم منها إلا القليل.. كلها تحت إرادة الخالق».

- «هل الأثير يكلمني؟».

- «هممم.. اتصالنا عالٍ ولهذا أنت هنا».

- «وهل سينقطع هذا الاتصال؟».

- «هممم.. أنت المخلوق الذي ألتقيه في صومعتي بعد ألف عام».

- «ألف!!».

وصدر مرة أخرى الهتاف الذي فزعت منه مسبقًا...

[تنج]

[تنج]

[تنج]

بدأت صورة هارون بالتلاشي وهو يبتسم...

لوح لي بيده قائلًا: «انظري في داخلك.. إنك تحملين كل الإجابات».

[تنج]

[تم إعادة الاتصال بعالم زورونا]

ظهر الصوت في عقلي...

وفجأة أحسست بموجات الألم تهاجمني مرة أخرى.. بالسكاكين التي تمزقني... بالمطارق التي تطرق عظامي... فتحت عينيّ من صدمة الألم، وأراهم ما زالوا هناك واقفين يحدقون بي... أصحاب القرون...

[تنج]

[تم قطع الاتصال]

ظلام في ظلام.....

«أين باقي المبلغ؟!».

نطقها عم ريم غاضبًا وهو يتحدث إلى أحدهم عن طريق سماعة الهاتف الذكية المثبتة على أذنه..

«لن أصبر يومًا آخر وإلا فضحتكم عند الشرطة.. إنهم يلاحقونني باستجواباتهم وكيفية وصولي إلى الجزيرة... زوجتي بدأت حتى بإلقاء اللوم عليّ».

اهتزت ساعة عم ريم الذكية لتنبهه بوصول تحويل مبلغ مالي بقيمة 5 ملايين درهم إلى حسابه.

ابتسم وأكمل قائلًا: «نعم.. لقد تسلمتها.. كان عليكم إرسالها بدون أي تأخير».

صمت عم ريم ليستمع إلى حديث الطرف الاخر..

وقال مبتسمًا: «لا تقلقي.. من المستحيل أن يشك أخي بشيء.. ولم أخبر أحدًا عنك».

وعندها أنهى المكالمة..

تأففت أحلام عندما أغلق عم ريم خط الهاتف.. أشعلت سيجارة في فمها وجلست على الكرسي الهزاز متطلعة إلى تلك البلورة السوداء بحجم كرة القدم التي أمامها...

«رجل جشع» قالتها وابتسمت.. لطالما راقت لها هذه الشخصيات... لطالما أحبت خياطة مآسي الناس والجلوس للاستمتاع بآلامهم... نظرت إلى صورة عمتها الراحلة وابتسمت، فقد أرسلتها إلى بُعدٍ آخر كذلك.. يا ترى... هل تستمتع بوقتها مع الوحوش الضارية أم قد تم نهشها من قبل أحدهم؟

سحبت أحلام دخان سيجارتها وأطلقتها في تنهيدة مملوءة بالنشوة وابتسامة مريضة تتخللها وهي تفكر في عمتها.. للأسف لا توجد أجهزة تسجيل تستطيع إرسال ما تمر به عمتها في ذلك البعد... «ممم.. يا ترى، هل ريم ما زالت حية؟! كيف تجرؤ على أخذ مكاني في جمعية (خطوات؟!)».

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ورفست كرة من القماش أسفل منها لتصطدم بجثة قطة عمتها... «هذا ما يحدث عندما تغضبيني يا ريم.. كيف لك أن تتمخطري في مكتبة (دار الكتب القديمة) محاولة سبر أغوارها؟!».

رمت كأس العصير من أمامها لترتطم بالجدار قائلة: «كيف لك أن ترحلي بحرية بين العوالم.. وفوق كل هذا إخفاء كل ذلك عني؟!».

أخذت أحلام نفسًا عميقًا ونهضت من مكانها متوجهة إلى غرفة النوم وهي تقهقه «هههه.. آآآه.... كم أتمنى رؤيتك تتألمين وتموتين أمامي بأسوأ

الطرق!..».

دخلت أحلام حمامها لتحظى بحمام دافئ.. فهذا أمامها موعد حافل مع والدي ريم... ابتسمت تفكر بالمسرحية الجديدة التي ستقدمها لهما..

نعم يا من يقرأ هذه السطور.. أحلام..

تعشق الاستمتاع بإيذاء الآخرين..

متعة الإيذاء.. سيكوباتية من الدرجة الأولى...

ولها خطوة أخرى في هذا الطريق...

أعان الله من كان في طريقها..

خطوة في عالم آخر..

ماء بارد على جبهتي!

أحدهم يمسح بيده الباردة على جبهتي.. أحاول فتح عينيّ الثقيلتين.. انتبهت إلى أن رأسي يتوسد شيئًا.. أهو فخذ أحدهم؟!

انتزعتُ أجفان عيني عن بعضهما في محاولة لفتح عينيّ لاستطلاع وضعي...

وحينها وجدتها تحدق بي.. تلك العجوز.. ذات الشعر الأبيض والعينين لوزتي الشكل الفسفوريتين خضراوي اللون.. لديها قرنا ظبي بني غامق، لا يتعدى طولهما العشرة سنتيمترات، وجهها طويل بأنف طويل وشفاه رقيقة...

مسحت يدها المجعدة على خدي وجبهتي، وابتسمت قائلة: «استيقظتِ؟ بماذا تشعرين؟».

نظرت إليها مستغربة، لقد فهمت كل كلمة نطقت بها.

حاولت النهوض لكنها دفعتني برفق للاستلقاء على فخذها مرة أخرى قائلة: «ليس بعد.. جسدك مرهق من تأثير طقوس الاعتراف».

«طقوس الاعتراف؟!» قلتها متسائلة..

«نعم.. نعترف بك بيننا.. كجزء منا.. حيث قدمنا لك دمنا وبلورة الحياة... ألست من التائهين؟».

«التائهين؟! بلورة الحياة؟!». أخرجت تساؤلاتي وأنا أرمقها بصمت مستغربة، ورأسي ينبض ألمًا، وعضلاتي تئن.. إني أتحدث بلغتهم!

أجابتني: «أجل».

لم أفهم ما تعنيه طبعًا..

تطلعت حولي، وإذا بي في غرفةٍ ما تشبه القبة،

مبنية من طين وتزينها الجلود والسجاد المعلق والمفترش على الأرض، مليئة بألوان الحياة، ونحن نفترش الأرض بأريحية، تحسست أسفل مني بيدي، إنه فرو ذو ملمس حريري ناعم، تنهدت برضًا.. لا أحد سوانا هنا.. القبة ينيرها النور المتخلل من الفتحة في أعلى سقفها، ومن مدخلها المنسدل عليه ستار ما يشبه القطن أو الكتان الأبيض الذي يتخلله نور الشمس.. أنجمهم يسمونه شمسًا مثلنا؟!

ظللْت أرمق المكان بصمت، واعدة نفسي بالتزام الهدوء والتفكير العقلاني..

- «ما اسمك؟».

- «ريم.... و أنت؟».

- «ليلك».

ابتسمتُ، فاسمها عربي ذكرني بأزهار الليلك..

نظرت إلى ثوبها المصنوع من الكتان الأزرق، نحرها المزين بأحجار كريمة...

قربت ليلك كأسًا خزفية بها سائل لزج أحمر اللون طيب الرائحة قائلة: «اشربي.. سيقويك».

جلست ببطء وهي تسند ظهري بيدها، وكل حركة أقوم بها تئن عضلاتي اعتراضًا، وأطلقت تأوهًا للألم الذي أشعر به..

«باسم الله» قلتها وارتشفت أول رشفة.. كان عصيرًا باردًا لذيذًا منعشًا، طعمه كعصير التوت البريّ لكنه حلو المذاق جدًا كالعسل وقوامه غليظ قليلًا، شربته كلّه..

تناولت ليلك الكأس من يدي عندما فرغت من شربها. ظللْت صامتة أرقب الأرض، والأحداث السابقة تتسابق إلى ذاكرتي.. أمسكت يدي التي جرحها الكهل بسكينه، الجرح ملتئم! كيف؟!

تذكرت الالام التي مررت بها.. انتفضت...

رفعت رأسي لأنظر إلى ليلك، وقلت لها والغصة تخنقني: «كان مؤلمًا جدًا ما فعلتموه بي... لقد رأيت الموت».

هزت ليلك رأسها متفهمة ومسحت على رأسي بيدها قائلة: «أعلم ذلك.. لكن لا حيلة لنا.. فبدون هذه الطريقة ستموتين ببطء بسبب تسممك من استنشاق هوائنا، وقد لا تستطيعين التأقلم في الحياة هنا».

«الحياة هنا!». قلتها مصدومة.

«نعم.. فالتائهون ذوو الدم الأحمر لم يستطيعوا الصمود لأكثر من شهرين معنا وفارقوا الحياة.. أجدادنا قد وجدوا هذه الطريقة لجعلهم يتأقلمون بالحياة بيننا.. صحيح أن بلورة الحياة نادرة.. لكن قبيلتنا لا تستطيع استغلالها بشيء.. لأنها ولسبب نجهله لا تستجيب إلا لكم.. أنتم ذوو الدم الأحمر... على الأقل هذا ما نعرفه من أجدادنا».

استمعت إليها ومشاعر مختلطة من الخوف والجزع والتوتر والاستغراب تتلاعب وتفور في صدري مهددة بالانفجار، حينها قلت: «لكني أريد أن أعود إلى أهلي.. إلى الأرض».

تحدرت دمعة هاربة من مقلتي بعد قولي هذا.. وهدد أنفي بفعل نفس الفعل.. وبدأت أشفط أنفي..

نظرت إليّ ليلك بشفقة وقالت وهي تمسح الدموع التي بدأت تخرج من مقلتي بحنان وشفقة: «أظن أن هذا مستحيل جدًا يا صغيرتي.. لم نسمع بتائه عاد من حيث أتى... ولا نعرف لذلك طريقًا».

حبست دموعي وبلعت غصتي وخوفي.. سألتها: «كيف أفهمك الآن؟!».

أجابتني بابتسامة: «هذا من بعد الطقوس يا صغيرتي.. فدمك ودمنا الآن واحد».

- «واحد؟!».

- «نعم.. بعد طقوس القبول، تستطيعين العيش في عالمنا والحديث بلساننا».

- «.....!!!!»

حدقت في وجهها وأنا أتخيل دمي يتحول إلى اللون الأزرق.. نظرت في عروق يدي ورفعت يدي أتحسس ما إذا نبتت لي قرون في رأسي..

انتبهت ليلك لحركة يدي وضحكت قائلة: «لا أظن أنه ستنمو لديك قرون مثلنا فأنت لم تولدي بها».

سألتها: «ماذا عن التائهين السابقين؟.. ماذا عن نسلهم؟ ألديهم قرون؟».

فكرت ليلك قليلًا قبل أن تجيبني: «آخر تائه لم يتزوج بأحد.. لكنه لم يعش طويلًا حيث واجه مصيره مبكرًا».

بدأت الفراشات باللعب في بطني، إذًا مصيري أيضًا غير معروف...

أأنا في حلم؟!

انقطعت أفكاري بدخول الكهل إلى الغرفة، الكهل ذاته الذي بلعت دمه!

«استيقظت صغيرتي؟» قالها مبتسمًا لي..

«اسمها ريم.. ريم هذا زوجي». قالتها ليلك موجهة الكلام إلينا..

«أنا اسمي ماريك.. خذي قسطًا من الراحة.. جسدك يحتاج إلى التأقلم».

نظرت إليهما كأنني في حلم، وعقلي يحاول استيعاب ما أنا فيه! وضع ماريك صحنًا أمامنا، انتبهت أنه كان يحمله عند دخوله، صحنًا فخاريًا

يحوي لحفا أبيض شبيهًا بالدجاج المشوي وعليه بعض من أنواع -لأسميها الخضراوات مجازًا- مكعبات وبألوان حمراء وخضراء وصفراء.

بلل كل منهما أصابعه في آنية من الماء ومد كل منهما يده إلى الصحن وبدأ بالأكل. دعواني لأتناول الطعام معهما... راقبتهما وهما يأكلان الطعام، ومعدتي تغرغر تطلب مني لقمة.. ابتلعت ريقي وأنا أراقبهما يأكلان...

إن ما أراه حقيقة، أنا لست في حلم..

هل آمنهم؟!

لقد اختطفوني ويعلم الله ما جعلوني أبتلع وما فعلوه بجسدي! أنا لست فأر تجارب...

أأصدقهم؟!

وأين القزم؟! لا أثر له، لم يأتوا على ذكره! هل لو سألت عنه سأعرض نفسي ونفسه للخطر؟ لقد أكد لي أن لديه طريقة للعودة إلى الأرض..

ظللت في معركة من الأفكار... تنهدت مستسلمة بعدها... لو كانوا يريدون أذيتي لفعلوا ذلك أو قطعوني أو حبسوني في زنزانة أو قيدوني....

راجعت ما قالته لي ليلك... وهنا سألت قلبي، الذي بغرابة جدًا وجهني للاطمئنان وتصديقهم..

حسنًا... لأجارهم الآن، ومن بعدها سأفكر بحل.. بعد أن أقيّم موقفي وأفهم كل التفاصيل.. فما زال كل شيء مبهمًا...

مددت يدًا مرتجفة وبللتها بالماء من آنية الماء لأطهرها قبل أن آكل من الصحن...

الوجبة كانت ساخنة.. اللحم طري لذيذ الطعم، يميل إلى طعم الديك الرومي، كل المكعبات كانت هشة وطعمها كالبطاطا المطبوخة.... الأكل كان

لذيذًا.. التهمته إلى حد الشبع... صبت لي ليلك كأسًا من الماء تناولتها بامتنان وشربت... على الأقل الماء ما زال ماءً...

وكأن الحياة دبت في بعدها!...

[تنج]

قفزت جافلة فجأة؛ مما جعل الزوجين يجفلان مني...

سألني ماريك قلقًا: «ما بك ريم؟ أيؤلمك شيء؟».

أجبته بالنفي.. فما زلت لم أتعود على صوت التنبيه الذي أسمعه في عقلي...

هز ماريك رأسه وطفق يمسح بلحيته قائلًا: «أخر مرة رأينا فيها تائهًا كان منذ أن كان عمري 15 سنة.. وهذا كان منذ 200 عام».

«... مائتي عام!!!!» قلتها مندهشة.. هل أعمارهم طويلة؟!

[تنج]

سمعت الصوت الذي بدأت ألفه..

[تنج]

[تزامن الحمض النووي 80%]

استغربت من هذه الجملة التي أسمعها، وخطر في بالي سؤال: ما هو تزامن الحمض النووي؟

[تنج]

[تزامن الحمض النووي هو إعادة برمجة حمضك النووي.. جارٍ دمج الحمض النووي الأرضي الخاص بريم مع الحمض النووي الخاص بماريك.. جارٍ نسخ الصفات الوراثية]

تسمرت في مكاني.. هذا الصوت! لقد أجاب عن تساؤلي!!!

كنت سأسأل سؤالًا أخر...

إلا أنه فجأة تحرك ستار مدخل الغرفة ودخل المقاتل.. هذه القرون هي ذاتها التي رأيتها قبل أن أفقد الوعي في الكهف...

«آه... راكان أنت هنا!» قالها ماريك مخاطبًا المقاتل..

راكان! اسم مألوف أيضًا...

تقدم المقاتل ضخم الجثة إلى الداخل، كان عريض المنكبين، طوله يقارب المترين، ولديه قرون وغلٍ ذات لون طيني، شعره كلون القمح، وعيناه ذهبيتان تميلان إلى الصفرة فاقعة اللون، حاجباه شبه مقوسين، أنفه مستقيم طويل، بشرته برونزية اللون، وجهه مربع جامد، ترتحل ندبة من أعلى جفنه الأيمن إلى منتصف خده الأيمن، كما توجد ندبة أخرى غزت الطرف الأيسر من شفتيه الغليظتين وامتدت إلى أسفل ذقنه، يكسو وجهه لحية خفيفة بنفس لون شعر رأسه، صدره لاقى نصيبه من الندوب كذلك، حافي القدمين، لا أظن أن عليّ أن أذكركم بتنورته من الجلد بنية اللون..

كان واقفًا يرمقني بنظرة جامدة ولم يتكلم.. نظرت إليه متعجبة، ومشاعر الغضب تفور في داخلي، كورت يدي بقبضة ووددت ختمها في وجهه، وبدون أي تفكير رميته بكأس الماء التي بجانبي، وصرخت غاضبة: «أنت... أنت من اختطفتني».

أمسك راكان بالكأس بكل سهولة وقطب حاجبيه، حوّل نظره إلى الزوجين اللذين كانا ينظران إلينا بفضول..

«لقد كانت تبكي». قالها راكان بصوت جهوري خشن.

«أبكي؟!» قلتها مصدومة.

- «نعم.. شدني صوت بكائك، وتتبعته، ووجدتك متكورةً على نفسك تبكين وحدك في الكهف».

- «وحدي؟!».

تشنج الحاجب الأيسر لراكان وقطب حاجبيه أكثر وهو ينظر إلي كأنني فقدت عقلي..

ظللت أحدق فيه وأنا أحاول استيعاب تناقض الموقف، فقد كان القزم نائمًا بجواري، لكن لا أذكر إذا ما استخدم ساعته لإخفاء نفسه، فآخر ما رأيته كان قرون وعيني راكان...

عقد راكان ذراعيه أمام صدره وتطلع إلى ماريك..

تنهد ماريك وقال: «احم.. حسنًا ريم.. راكان هو الحافظ».

«الحافظ؟!» قلتها متسائلة..

هز ماريك رأسه قائلًا: «نعم.. هو المسؤول عنك؛ لأنه وجدك، وعليه سيكون مسؤولًا عن تأمين عيشك هنا وكل ما تحتاجينه حتى تعليمك عاداتنا وس...»

اتسعت عيناي غير مصدقة ما أسمع وقاطعته قائلة: «أنا لا أريد الذهاب مع هذا الوحش».

علامات عدم الرضا والامتعاض والخوف كانت جميعها ظاهرة على وجهي... ألا يكفي أنهم اختطفوني وحولوني إلى فأر تجارب؟! ألا يكفي الألم الذي مررت به؟! والآن هذا! هذا الخاطف هو المسؤول عني!

كنت أتخبط في أفكاري ومشاعري وقد زممت على شفتي من الخوف...

حينها وضعت ليلك شالًا أزرق على كتفي وقالت: «لا تخافي.. ستقطنين معنا أنا وماريك في منزلنا

هذا لأنه لا عائلة لك ولا زوج.. راكان سيكون مسؤولًا عنك خارج هذا المنزل».

هدأتْ، وبعد وهلة من التفكير تنهدت مطمئنة بعد كلامها، فأنا لا أثق بهذا المختطف.. بالله عليكم لو صفعني بتلك اليد الضخمة فلربما يصيبني شلل أو يُطوِّخ رأسي وينفصل عن رقبتي وأموت!!

«ولكن..» خرجت الكلمة مني، لكن ليلك اعترضتني قائلة وبحزم ناعم: «الكل يعلم أن راكان مسؤول عنك.. عليك من الآن أن تتبعي راكان وتستمعي إليه، فهو أكبر وأكثر حكمة منك، كما أنه من أقوى المقاتلين لدينا وسيحميك، لن يتجرأ أحد على المساس بك بسوء».

قامت ليلك من مكانها وجرتني بخفة من يدي لكي أنهض وأتبعها.. نهضت من مكاني ببطء، فكل خلية بجسدي تئن ألمًا... جسدي كله يئن...

أكملت ليلك قائلة: «حسنًا، والآن يا ريم، اتبعي راكان، سيريك قريتنا وسيعرفك كيفية سير الأمور بيننا وفي هذه القبيلة».

رفع راكان ستارة مدخل المنزل وظل يتطلع إليّ دون أن يتفوه ببنت شفة.. ينتظرني أن أتقدمه...

وقبل أن أتحرك.. انتبهت لشيء.. نظرت إلى ليلك وهمست في أذنها؛ ومن ثم انطلقت ليلك ضاحكة...

«أووف» تأفف راكان وهو واقف أمام منزل الحكيم ماريك ينتظر التائهة ريم.. صحيح أنه وجدها، لكنه لا يريد الاعتناء بطفلة فضلًا عن تائهة، أضف إلى ذلك إهانتها له والتقليل من احترامها له في حديثها عنه أو مخاطبته!

نخر راكان قائلًا: «أه.. ستعرقل تدريباتي وصيدي».

سمع صوت خطوات، التفت إلى الوراء ليرى ريم تخرج من منزل الحكيم.. وبعدها أمال رأسه لليمين متطلعًا إلى هندامها.. لماذا تغطي رأسها؟!!

عندما خرجتْ رأيت الاستغراب على وجه راكان، لكن سرعان ما استعاد ملامح وجهه الجامدة وانتظرني حتى اقتربت منه؛ ومن ثم قال: «سنبدأ بالتجوال حول القرية، ثم سنذهب إلى الأبراج».

- «الأبراج!»

- «هِمهِم ... نعم».

- «حسنًا».

هز راكان رأسه وتقدمني وبدأ بجولته التعريفية للقرية التي لم تخلُ من نظرات أفراد القبيلة الفضولية، بريئة كانت أو مهددة أو مخيفة أو خائفة... أعتقد أنهم يعيشون نفس المشاعر التي لديّ نحوهم!

في الجولة التعريفية تعرفت على القرية، فهي تنقسم إلى ثلاثة أجزاء، كل جزء تحيط به أشجار كثيفة ضخمة متراصة مع بعضها تمثل جدارًا طبيعيًا حاميًا... قسم المبيت الذي يحوي كل المنازل والمهاجع والخيم للعائلات وأفراد القبيلة.. قسم ساحة التدريب التي تحوي مساحة مسطحة كبيرة وتلالًا صغيرة تنتشر حولها أدوات صخرية وخشبية وجلاميد صخرية للتدريب، كما تحوي خيامًا ومعسكرات صغيرة وورش حدادة ونجارة ممتلئة برجال القبيلة الذين يمارسون طقوسًا تدريبية غريبة، غريبة جدًا...

القسم الثالث والأخير يسمونه بالمجلس، الذي يعقدون فيه طقوسهم واجتماعاتهم واحتفالاتهم وغيرها، هي المدرجات نفسها التي عشت فيها أولى دقائق مقابلتي مع أفراد هذه القبيلة....

كان جسدي يرتجف من الذكرى التي مررت بها، كان راكان يتحدث وانتبه إلى حالي؛ حيث سكت فجأة وطبطب على رأسي، قفزت للوراء جافلة منه وصرخت فيه: «لا تلمسني».

تجمدت يد راكان في مكانها، ومن ثم رفع يده للأعلى إشارة منه أنه سيتوقف عن الطبطبة وتعلوه نظرة خليط ما بين الدهشة والاعتذار.. بلعت ريقي وقلت معللة موقفي: «لا أريد لرجل غريب أن يلمسني».

«أنا لست غريبًا أنا الحافظ». قالها راكان مستغربًا مني.

«بالنسبة لي ما زلت غريبًا.. لست بأبي أو أخي».

«هممم» لم ينطق بعدها راكان، لكنه هز رأسه والتف حول نفسه وقال: «أتبعِيني».

تبعته إلى أن وصلنا إلى مدخل ممر يحرسه مقاتلان ضخما الجثة يعلو وجهيهما رسم من صبغ أحمر.. تساءلت في نفسي: لماذا لا يوجد نفس الصبغ على وجه راكان؟!

مررنا بجانب المقاتلين اللذين لم يعيرانا أي اهتمام... ودخلنا في الممر الذي يتوسط الغاب، تكسوه حشائش صغيرة وقصيرة جدًا ناعمة الملمس عندما وطئتها بخفي من الجلد... تحوط بالممر أشجار من الجانبين التي تتلاقى بأعلى منتصف الممر لتشكل ما يشبه قوسًا على طول الممشى... الممر عريض وأقدّر عرضه بأربعة أمتار، الأشجار الضخمة التي تحيط به ذكرتني ببناية ذات أربعة

طوابق... مشينا صامتين لمدة ليست طويلة، لربما كانت ربع ساعة، لكني رحبت بهذا الصمت، ومن تارة إلى أخرى أنظر إلى ظهر وقرون راكان.. فجأة تحدث راكان قائلًا: «هذا الممر يؤدي إلى الأبراج.. لكن لا ترتاديه وحدك.. إذا أردت الخروج من القرية والتنزه هنا أبلغيني لأرافقك أو يرافقك أحد مقاتلي لامو».

- «لامو؟!».

- «نعم، إنه اسم قبيلتنا».

- «وهل توجد قبائل غيركم؟».

- «نعم، لكنها بعيدة، ونادرًا ما نحتك بهم إلا لطلب مساعدتنا أو تبادل الصيد».

- «مساعدة؟!».

- «بالعادة نستقبل طلبات مساعدة لقبائل لإعانتهم للتخلص من وحش ما أو الحصول على نبتة أو دواء أو تأمين سراديب الشتاء».

أظن أن أذنيّ لم تخني... أقال تأمين سراديب الشتاء؟!!

وهنا وقفت مذهولة للمنظر الذي أمامي.. مساحة مسطحة كبيرة جدًا بحجم خمسة ملاعب كرة قدم.. ثلاثة أبراج صخرية مخروطية الشكل تقف شامخة عند نهاية الساحة شبه ملتصقة بالجرف الصخري خلفها، كل برج يحوي نوافذ متفرقة الارتفاعات والأحجام.. الأبراج ملساء، لكن لا مدخل لها!!!

والأعجب من هذا، أن ما يحيط بهذا المكان كله عبارة عن جرف صخري كبير.... رفعت رأسي للأعلى لأرى امتداده... إنه شامخ جدًا...

ظل راكان يتطلع إليّ صامتًا.. نظرت إليه أنتظر أن يبدأ بالشرح...

- «كانت تقام هنا طقوس الصيد سابقًا».

- «طقوس الصيد؟!».

مشى راكان إلى أحد الأشجار المثمرة واقتطف ثمرتين لونهما أخضر، دائرتي الشكل كالتفاح، مرر إحداهما لي والثانية بدأ يقضمها...

آآه.. طبعًا.. أنياب!! هذا ما كان ينقص هذا الوحش! قلتها ساخرة في نفسي...

لدى راكان نابان طويلان حادان في ثنايا أسنانه، بالإضافة إلى باقي أسنانه التي أراها طبيعية وبيضاء كأسناننا...

كان يرمق بقعة معينة.. وفجأة لمحت أذنيه تتحركان.. فتحت فمي منصدمة.. أهو وعل أم ذئب!!!

أذناه كانتا مختفيتين تحت شعره.. فجأة برزتا من تحت شعره.. هما مدببتان.. يوجههما ويطويهما كلٌ على حدة، وكلٌ في اتجاه كأنه يبحث عن صوت ما...

نظرت إلى خصره، إنه لا يحمل سكينًا من العظم أو قوسًا أو أي أسلحة كتلك التي رأيتها مع مقاتلي القبيلة!

طبعًا لا أشك في قدرته على القتال مع هذا الكم الهائل من العضلات، ولكن السؤال هو...

- «كيف تصطاد؟!».

- «أصطاد بقدرتي».

- «قدرتك؟!».

هز رأسه بالإيجاب، وفجأة مد يده للأمام، وهنا بدأت بالتشوه!!

تشوهت ملامحها وتشجرت، وتشكل ما يشبه القوس الذي مُط وتره بقوة، وشخص بنظره إلى بقعة ما في السماء يحدق في هدف ما، ومن بعدها

أطلق سهمًا، لا أدري ما هو السهم الذي أطلقه، فلم أر في يده التي تسحب الوتر أي شيء، أي شيء على الإطلاق!!

وفجأة رأيته..

طائر أخضر اللون ذو ذيلٍ بنفسجي طويل يسقط من ارتفاع عالٍ ويرتطم بالأرض..

- «هذا كان غداءك». قالها راكان.

- «غدائي!».

«نعم» *قالها راكان وفي داخله تساؤل. لم تُعيد هذه الصغيرة كل كلمة يقولها؟!!*

سألته: «يدك.. كيف؟ ألا تؤلمك؟» كنت أريد لمسها إلا أنها عادت إلى ما كانت عليه..

وهنا جال في خاطري سؤال: هل معنى هذا أنني أيضًا أستطيع فعل ذلك؟

وهنا سألت راكان: «هل أستطيع الاصطياد مثلك؟».

استغرب راكان سؤالي وأجاب: «أنت أنثى.. الإناث لا يصطدن.. نحن نعتني بهن».

أغلقت فمي ورفعت حاجبي معجبة بتفانيهم في هذا الشأن، يا لها من رجولة!...

صمتُ ومن ثم فكرت قليلًا، وسألته مرة أخرى: «ماذا لو احتجت لحماية نفسي؟».

- «سأحميك أنا».

- «وإن لم تكن موجودًا؟».

- «سأكون دائمًا موجودًا».

- «وإن لم تكن موجودًا؟».

هنا تأفف راكان ونظر إليّ قائلًا بصبر: «في تاريخنا كله.. قدرات الصيد والقتال تكون عند فئة قليلة من

الرجال الذين وصلوا للمرحلة الخامسة من التطور، هم من يستطيعون تطويع قدراتهم الخاصة، فلكل واحد منهم قدرة خاصة به تختلف عن الاخر.. أما الباقون فيستخدمون الأسلحة ويتدربون لرفع جلدهم وقوتهم.. أما الإناث فنادرًا ما تكون القدرات لديهن موجودة، لكن أغلبها إن وجدت تكون في العلاج والاستشفاء».

[تنج]

[تزامن الحمض النووي 90%]

تجاهلت الصوت الذي بدأت آلفه..

وجهت كلامي إلى راكان قائلة: «أنا لست منكم».

رد عليّ راكان مصححًا: «لكنك استقبلت طقوس قبول الدم فأنت الآن منا».

التف على نفسه وبدأ بالمشي نحو الممر قائلًا: «هيا، لنعد أدراجنا».

ركضت خلفه ووقفت أمامه أقطع عليه سيره قائلة: «كيف حولت يدك؟! كيف وصلت إلى هذا؟!».

تنهد راكان وأجابني مستسلمًا: «بالنسبة لي قتلت ألف وحش؛ ومن ثم تطورت القدرة الخاصة بي».

- «هل كلهم مثلك؟»

- «لا.. لكل شخص ظروف تفعل اكتسابه للقدرات تختلف من شخص إلى آخر.. لا شيء يجزم كيفية أو نوع القدرة أو القوة التي يحصل عليها بعد وصوله لمرحلة التطور الخامسة».

- «ما هي مراحل التطور التي لا تنفك عن ذكرها؟».

- «إنها مراحل يمر بها عادة رجال القبائل مرتبطة بمراحلهم العمرية وقدراتهم، الخامسة هي أقصى المراحل وأقواها».

- «مممم... حسنًا».

واستمر راكان في مشيه ولحقت به وأنا في متاهة من العجب والأفكار... أنا في قصة أم في لعبة؟!.... معقول أن هذا العالم يشبه تلك الألعاب الإلكترونية التي ألعبها أنا وإخوتي؟!

مستوى وقوة خاصة؟!!

وفجأة التف راكان إليّ وحملني على كتفه وقفز للخلف بمقدار عشرة أمتار.. طبعًا عقلي لم يستوعب الذي حدث..

حيث اهتز المكان بعدها بدوي زئير ذلك الوحش.. نعم زئير.. زئير غاضب اهتزت منه أشجار الممر.. ووقف في نفس المكان الذي كنا فيه كائن ما محاط بسحابة من الغبار... قفز راكان للوراء مرة أخرى أمتارًا عدة.. هدأت موجة الغبار والزئير.. ورأيناه هناك واقفًا يزمجر مكشرًا عن أنيابه، يتساقط اللعاب منه... رأس أفعى كوبرا ضخمة بجسد وحش يشبه ما لدى ديناصورات (الوسورات) التي كان نادر أخي يقتني مجسماتها في غرفته، لدى الوحش ست أرجل، طوله يقارب عشرة الأمتار.. ويرتفع مترًا من على الأرض.. وفجأة ضرب ذيله -ذا ثلاثة الأمتار طولًا- الأرض، وقوّسه ناحيتنا، هناك ما يشبه الإبرة الضخمة في نهاية ذيله.. انقبض قلبي خوفًا ورعبًا وأنا أنظر إلى الذيل! سيخرج شيء منه، أنا متأكدة..

وهنا.. انطلق راكان يجري بسرعة، أحسست أن رقبتي ستنكسر منها.. وانطلق المخلوق أو الوحش وراءنا.. يد راكان اليمنى تحولت وانقسمت إلى نصفين، نصف يحملني أمامه والآخر موجه للخلف. حوّل يده الثانية كذلك، ومن بين تارة وأخرى يقوم برمي ذلك السهم..

اقترب راكان من الأبراج، قفز إلى إحدى نوافذها، أمسك ببوق عظمي من نافذة أحد الأبراج ونفخ

فيه.. نعم هذا صوت مألوف.. بوق إنذار.. نظرت للأسفل لأرى الوحش يقفز ويركض على جدران البرج الذي نحن فيه!

طوح راكان بالبوق وبدأ يقفز بين النوافذ..

وهنا مرّت وراءنا..

شوكة ضخمة كالصاروخ..

«تبًا!» نطقها راكان..

تفادى راكان خمس طلقات أخرى من تلك الأشواك، ومن ثم قفز إلى الأسفل..

أتعرفون شعور القفز من مكان مرتفع عن الأرض بأكثر من ثلاثين مترًا وحقيقة أنك تقفز إلى حتفك مع وجود كائن خرافيّ يلاحقك لأكلك أو سحقك؟.. نعم.. هذا شعوري بالضبط..

وقد نسيت عاملًا مهمًا «آآآآآآآآآآآآه».

وهنا سمعت صوت ارتطام بالأرض، لكننا لم نتحطم!!!

لقد استمر راكان بالركض إلى الممر... ووصلنا إلى منتصف الساحة الكبيرة.. وماذا بعد!!!

طبعًا..

لا تكتمل قصة من غير وحوش!..

فهناك أمامنا وحشان أكثر ضخامة في الحجم من السابق، من نفس الفصيلة بلونين طينيين مختلفين... والسابق بدأ بالنزول من البرج!

وحينها وقف راكان ومد يده التي هي قوس ومط الوتر وظل بهذه الوضعية وأنا لا أفهم ما به!.. حينها رأيتها... كرة من نور تتشكل عند التقاء أصابعه بالوتر، ومن ثم تبدو خطوط لولبية تنمو منها....

وهنا سمعته.. أسمعتم يومًا ما صوت محرك طائرات الألفية الثانية؟!.. كان ذلك الصوت يخرج

من يد راكان مع ازدياد كرة الضوء في حجمها وتسارع الخطوط اللولبية، وراكان يمشي بحذر للوراء يراقب ثلاثة الوحوش التي بدأت بالتحرك لتطويقنا.. وحينها أطلقها... انطلق الشعاع الصاروخي بصوت يصم الاذان... حاولت وضع يدي على أذني لحمايتي من الصوت...

ودوى انفجار هائل أطاح برأس أحد الوحوش وسقط جسده جثة هامدة..

«الدرس الأول.. الأفعى السداسية.. تطلق أشواكًا مسمومة من ذيلها.. متسلقة ماهرة.. لكن من السهل قتلها إذا ركزت على إصابة رأسها.. قلبها في رأسها».

قالها راكان لي بكل هدوء ونظره مرتكز على الوحشين الآخرين اللذين هاجا بعد سقوط الوحش الأخضر الذي كان يلاحقنا في البداية.. وحينها انطلق راكان يركض بنفس السرعة إلى الأبراج.. والوحشان يلاحقاننا...

وبدأ يقفز من نافذة إلى أخرى، متجنبًا ما يسدده الوحشان من أشواك سامة إلينا...

وصل راكان إلى قمة أحد الأبراج.. يده اليمنى أمسكتني وطوقتني بالكامل كدرع، واختفيت وراء الدرع كطفل الكانغارو منحشرة بينه وبين جسد راكان...

«راكان» قلتها خائفة..

«لا تقلقي لن يصيبك مكروه» قالها وهو لم يشح بناظريه عن الوحشين اللذين يحاولان تسلق أول عشرة أمتار من البرج...

قلبي سيخرج من مكانه.. لا أريد أن أنظر... وهنا... سمعت صوت ذلك الصياح..

«انتبا إنه طائر الجحيم!». قالها راكان بحنق..

وفجأة قفز راكان إلى داخل البرج.. وطفق يركض إلى مخرج الغرفة التي كنا بها..

وهنا رأيته... الوحش الطائر.. شكله كالصقر تمامًا، بريش أحمر وبرتقالي.. رأيته فاتحًا فمه.. وبدأ اللهب بالخروج من فمه.. صرخت خوفًا.. في اللحظة الأخيرة قفز راكان إلى مخرج الغرفة وإلى اليسار وصعد سلالم ومن ثم نزل من أخرى..

حدثني راكان بهدوء راكضًا: «الدرس الثاني.. طائر الجحيم.. على الرغم من حرارة اللهب الذي يطلقه، إلا أنه لا يستطيع الاستمرار أكثر من دقيقة متواصلة.. حيث يحتاج إلى خمس دقائق ليرتاح قلبه ويفعل لب اللهيب لديه»...

ودخل إلى إحدى الغرف الحجرية متعددة النوافذ..

«ريم.. ستكونين على ظهري.. تمسكي جيّدًا».

وهنا غلّقني راكان على ظهره بنفس اليد وغطاني بالدرع، وتحولت يده اليسرى ونصف يده اليمنى إلى مناجل كبيرة... وفجأة بدأ يجري إلى إحدى النوافذ وقفز... خرجنا من النافذة وضرب راكان منجله الأيمن على جدار البرج مما جعلنا نلتف لكي لا نطير مبتعدين عن جدار البرج، وبدأ بالجري إلى الأسفل...

طائر الجحيم خلفنا ينفث لهبًا.. وراكان يناور ويتفادى إما نفث اللهب أو كرات اللهب.. كما كان يتقافز ويناور ليتفادى سيل الأشواك من الوحشين أسفل منّا..

بدأ راكان بالتسارع والاقتراب من وحشي الأفعى السداسية، اللذين حاولا فتح فمهما لنهشنا، وضربا الجدار بذيليهما لكن راكان قام بفعل مجنون... مجنونًا جدًا..

انزلق تحت جسد الأفعى السداسية التي على يميننا... ولحسن الحظ أحرق لهيب طائر الجحيم رأسها وبدأت بالسقوط إلى الأرض.. ضرب راكان برجله على جدار البرج وقفز ليقف على بطن الأفعى السداسية الساقطة، وقفز عنها قبل مترين من ارتطامها على الأرض.. وبدأ بالجري إلى الممر..

وهنا لمحتهم.. عشرة مقاتلين... كانوا يخرجون من يمين الممر بصرخات قتالية متجاوزيننا، راكضين ومتجهين إلى كل من طائر الجحيم والأفعى السداسية.....

«آه.. قدرات خاصة» قلتها وأنا أراقب المعركة أمامي وراكان حولني لأكون أمام صدره بذلك الدرع الذي يحميني الذي يحوي جسدي المتكور على نفسه، وظل يرقبهم ويراقب المكان حولنا.. نظر للخلف وتنهد قائلًا: «الدرس الثالث... الأفعى السداسية دائمًا ما تهجم في مجموعات من خمسة وحوش».

مططت رقبتي لأرى إلى أين كان ينظر.. هنالك جثتان لوحشين -يشبهان في ملامحهما المتبقية الأفعى السداسية- تفترش أرضية الممر على بعد ستة أمتار منا...

سرت قشعريرة بجسدي....

الحمد لله أنني كنت بصحبة هذا الوحش.. أ.. أقصد راكان.. إنني ممتنة..

نظرت إلى وجهه وهو ما زال يراقب عراك المقاتلين الذي قضوا على الوحشين بسرعة..

«شكرًا.. على إنقاذك لحياتي» تمتمتها... ونظرت إلى الأسفل خجلة ودموعي تنهمر...

طبطب راكان على رأس ريم وتوقف فجأة متذكرًا

ردة فعلها السابقة...

«من الغريب أن أجدك برفقة أنثى يا راكان!».

خرج ذلك الصوت الخشن المبحوح من ورائنا..

التف راكان حول نفسه ليواجه من كان يخاطبه..

إنهم عشرون مقاتلًا ضخام الجثث مفتولو العضلات، ذوو خطوط من صبغ أزرق على وجوههم وأجسادهم، يتوسطهم أضخمهم، في الحجم والقرون..

حينها أنزلني راكان من الدرع التي كنت معلقة داخلها..

أحسست بأن رجلي ستخونانني.. استطعت الوقوف بالكاد وأنا أرتجف..

«مرحبًا بك.. متى عدت؟» قالها راكان للضخم..

أجابه الضخم قائلًا: «للتو.. من هذه؟! أأنثى من قبيلة أخرى؟».

قالها موجهًا سؤاله لراكان ومحدقًا بي.. هنا اندسست وراء راكان خائفة منه.. نظرت إلى المقاتل الضخم جدًا، إنه أضخم بكثير من راكان وأطول، أبيض البشرة مربع الوجه بعينين لوزيتين زرقاوين فاقعتين وحاجبين حادين، شعره فضي طويل إلى ما وراء كتفه، أنفه طويل معقوف من عند أرنبته وشفاهه صغيرة، لديه قرون كالظباء كثيرة تنمو من رأسه غليظة ملتوية ومتفرعة كأنها تاج ضخم!

«ريم.. إنه زعيم قبيلتنا سرداد... سرداد هذه ريم.. من التائهين».

تطلع زعيم القبيلة سرداد إلى راكان غير مصدق، ثم تقدم مقتربًا لريم، وريم تزداد اختفاءً خلف راكان..

تنهد راكان قائلًا: «ريم.. لا تخافي إنه زعيم قبيلتنا

ومن الطبيعي أنه يريد رؤيتك..».

تطلع سرداد إلى ريم بعينين وابتسامة تعلوها التسلية...

«راكان.. لنعد إلى منزل الحكيم لنتحدث». قالها سرداد ومن بعدها انطلق متجهًا إلى القرية وتبعه المقاتلون دون أدنى كلمة...

ما الذي يحمله المستقبل في طياته لي يا ترى؟!

قلبي ما قبع هادئًا من أول ما وطئت قدماي هذا العالم!!

نعم يا ريم.. ما يحمله الكثير الكثير...

وما زال قلبك نابضًا...

أليس هذا مهمًا أيضًا؟...

لقد مضى على وجودهم داخل منزل الحكيم أكثر من ساعة الآن... ماريك وراكان وسرداد.. لقد خيم الليل الآن على القرية....

جلست ليلك بجانبي قائلة: «ابني سرداد قد يكون جافًا بعض الشيء لكن أرجو أن تتفهمي أنه الزعيم هنا».

هززت رأسي متفهمة...

بقي مقاتلان من المقاتلين العشرين يحرسان المنزل ويراقباني من حين إلى أخر بنظراتهما...

إنهما توأمان.. بشرة سمراء وشعر أبيض أحدهما مجعد يسمونه لوما، والثاني ذو الشعر الناعم يسمونه سوما، كلاهما لديه عينان زرقاوان فاقعتا اللون، قد زين وجهيهما وجسديهما رسم وخطوط ذات لون أزرق... كلاهما له قرنان اثنان غليظان على جانبي رأسيهما... كل ما فيهما متشابه، هما ذوا وجه

طويل وأنف حاد وشفتان ضعيفتان....

المقاتلون الملكيون يصبغون أجسادهم باللون الأزرق، هم أكثر قوة وأرفع مكانة من المقاتلين ذوي الصبغة الحمراء...

أنا وليلك جالستان على صخرة مقابل منزل الحكيم... من حين لاخر يمر أحدهم يلقي التحية أو يصدر نخيزا عندما يراني.. لقد فهمت أن صوت النخير الذي يصدرونه ينم على عدم استحسانهم أو اعتراضهم!

نظرت إلى السماء.. إنها المرة الأولى بحياتي أرى بها السديم والنجوم بهذا الوضوح.. لديهم قمر واحد ذو أحزمة مدارية.. قريب جدًا من سمائهم... الأحزمة المدارية ذات ألوان طفيفة لكن القمر في لونه يشبه قمرنا، لكن عليه ما يشبه التضاريس... ظللت أرمق السماء بتعجب..

[تنج]

[تزامن الحمض النووي 100%]

[تنج]

[جارٍ البدء في تفعيل التلقيم]

بعدها أحسست بصوت الطنين وألم في أذني.. أصوات عالية جدًا تصل أذني.. أسمع أشياء كثيرة على الرغم أن المشهد لم يتغير أمامي!!! لحظة المشهد لا أستطيع التركيز!

أصوات ضحك... كلام ولغط... أزيز الحشرات.. دقات القلب.. همس.. جلبة من بعيد.. خطوات.. حيوانات..

أنفي سينفجر من حدة الروائح.. عيناي بدأت تزغللان...

وحينها نزف أنفي...

لا أذكر سوى أني على الأرض ممسكة برأسي.. ليلك بجانبي تضغط على أنفي بخرقة ما.. هناك دم.. دم يخرج من أنفي وأذني...

«ماريك.. مااريييك» تصرخ بها ليلك ليهرع ثلاثتهم من منزل الحكيم..

يتشوش نظري... أجفاني تثقل... دوي خطوات تضرب الأرض... راكان يجثو بجانبي.. ماريك ممسك بإحدى يدي... وظلام..

ظلام.... ظلام في ظلام..

لا ظلام إلا وبعده نور....

دق جرس المنزل... فتح والد ريم الباب ليرى أحلام على الباب بعينين محتقنتين وباقة من الورد..

«تفضلي يا بنتي» قالها وهو يقودها إلى الصالة «سأنادي لك أم ريم» هزت أحلام رأسها، وراقبت والد ريم وهو يصعد السلم إلى الأعلى..

«ماذا تفعلين هنا؟!» قالها نادر أخو ريم بكل غضب، فإنه ولسبب ما لا يحس بالارتياح لهذه الإنسانة..

«نادر، هذه أحلام صديقة ريم» قالتها أريام معاتبة أخاها..

مط نادر شفته ومشى ليرتقي بسرعة درجات السلم ويختفي في الطابق الأول..

«مرحبًا أحلام» خرج صوت أم ريم مبحوحًا من البكاء ضعيفًا خاليًا من الحياة..

«عمتي.. أهناك أخبار؟»..

وجمت أم ريم ولم تنطق بعد سؤال أحلام...

«لا جديد» قالتها أريام ووقفت بجانب والدتها،

ومن ثم أكملت «اعذرينا يا أحلام فوالدتي ليست بوضع يسمح لها بمقابلة أحد».

«هنْ هنْ.. اعذروني فشوقي وخوفي على ريم دفعني لزيارتكم والاطمئنان عليكم».

وهنا تقدمت أحلام لتسلم باقة الورد إلى أم ريم وتستأذن..

تبعتها أريام التي أغلقت باب المنزل وراء أحلام، والتفتت لترى أمها دافنة وجهها في باقة الورد تبكي. عضت أريام على شفتها، وانطلقت إلى الأعلى تبحث عن توأمها نادر، الذي وجدته في غرفة ريم جالسًا على سريرها يحدق في الفراغ. جلست بجانبه وأسندت رأسها على كتفه ودموعها تسيل بصمت..

«أتعلمين يا أريام... خلال هذين الأسبوعين.. كل يوم أتخيل ريم تأتي إلى غرفتنا أو تدخل إلى غرفة الطعام قائلة (دعابة)».

هزت أريام رأسها موافقة، أحيانًا تسرح في باب غرفة ريم تنتظرها تخرج منه، متعلقة بأمل.. أي أمل....

وبقي الجميع هنالك قلوبهم معلقة بأختهم الكبرى التي لا أثر لها...

والخوف يزداد في قلوبهم من أن العثور عليها صار صعب المنال...

والدهم في غرفته يصلي معلقًا قلبه بريم....

أمهم في الأسفل تنتحب على ريم.. تركتها أريام.. تركتها مع باقة من عند أحلام..

باقة استنشقتها في خضم بكائها... وبدأت بالتشنج والغرغرة... سقطت على الأريكة لتكمل تشنجها واختناقها.... وهنالك أسلمت روحها لخالقها...

هكذا وبكل بساطة... لعبت أحلام بحياة هذه الأسرة!

ابتعدت أحلام بسيارتها ونظرت إلى ساعتها وهي تضحك..

«صحيح أن ريم اختفت للأبد... لكن كيف يجرؤ أخوها على معاملتي بهذه الطريقة!..

فريم لا تكفي كصفعة.. فماذا ستكون ردة فعلهم لخسارتهم والدتهم؟!».

فلقد دست مادة تتفاعل فقط مع بصمة الحمض النووي الخاصة بوالدتهم..

ستغادرهم كسكتة قلبية، وعليها حياكة قصة مأساوية بعدم تحمل أم ريم لاختفائها...

وهنا انطلقت ضاحكة، متلذذة بانتصار آخر على وشك التحقق...

رن هاتفها الذكي واختفت ابتسامتها...

تعلو علامات وجهها الخوف وهي ترد: «ن...نعم».

«لقد تأخرت» قالها صوت بارد جدًا من الطرف الآخر...

دعست أحلام على مكابح سيارتها وأوقفتها في منتصف الطريق.. بلعت ريقها وقالت وهي ترتجف: «الليلة.. الليلة سأدخل وأبحث عنها».

«أمامك 12 ساعة فقط» قالها الرجل وأغلق الخط في وجهها..

تصببت أحلام عرقًا.. ارتجفت.. بدأت بالتفكير وقضم أظافرها....

فالليلة.. يجب عليها أن تتسلل إلى المكتبة وتخترق دفاعاتها وتتم مهمتها..

التي لطالما حلمت بها...

ضحكت... وبعدها اختفت ضحكتها وتنهدت متوترة.. أعادت السيارة إلى وضعية القيادة وانطلقت متجهة إلى منزلها للاستعداد..

«فلتذهب عائلة ريم إلى الجحيم.. بعد 12 ساعة.. لن يكون لهذه المدينة وجود على الكرة الأرضية.. أو قد يختفي الكوكب كله!!! يا للروعة لو اختفى الكوكب!».

واهتزت ضحكًا....

فأحلام كانت تخط الساعات الأخيرة لكل كائن حي على هذه الأرض...

12 ساعة....

وتحدث الكارثة...

♫ طق طق ♫

انتبهت للصوت....

فتحت عينيّ المثقلتين...

ورأيته هناك... هارون... يمسح على لحيته...

«ها أنت ذي» قالها مبتسمًا..

«مرحبًا جدي هارون».

ابتسم هارون لي، وأشار إلى الكأس الفخارية المملوءة بالماء لأشرب.. شربت منها ممتنة..

[تنج]

[نجح الاتصال بصومعة هارون]

«هممم.. أهذا الذي كنت تسمعينه يا طفلتي؟».

اندهشت وقفزت سائلة: «أتسمعه الان؟».

- «هممم.. نعم».

- «و ما هو؟».

- «لم لا تسألين الصوت؟».

رفعت رأسي للأعلى وأغمضت عيني قائلة: «أيها الصوت، ما اسمك وما أنت؟».

[تنج]

[لم يتم تخصيص اسم لي بعد]

فتحت ثغري متفاجئة... فلقد أجاب عن تساؤلي.

«أستطيع تسميتك؟».

[تنج]

[لريم حق تسميتي بما تراه مناسبًا]

نظرت إلى هارون مندهشة.. «جدي هارون، ماذا تنصحني أن أسميه؟».

أجابني وهو يمسح على لحيته: «شيء سهل يسير لن تنسيه أبدًا».

مممم.. هل أسميه تنج عطفًا على صوته؟... هممممم.. إنه كالهاتف بتنبيهاته... هاتف! لم لا؟!

«إذًا أسميك هاتف».

[تنج]

[تم تخصيص اسم هاتف]

«هاتف، ما أنت؟».

[تنج]

[تعذرت الإجابة لعدم جاهزية ريم للاستقبال]

«ماذا؟!» قلتها مصدومة «ماذا تعني؟».

«معناها أنك يا طفلتي العزيزة لست مستعدة نفسيًا أو فكريًا أو ربما جسديًا لاستقبال أو استيعاب كينونة هاتف أو حتى رسالته وهدفه معك». قالها هارون بصوت هادئ وهو ما زال يمسح لحيته.

- «رسالته؟».

- «لكل كائن ومخلوق رسالة يا بنتي».

ظللت أرمق هارون.. أملت رأسي يمنة ويسرة لاستيعاب كلامه..

ظللت صامتة أرقب النار التي بيننا...

- «لا أفهم!» قلتها يائسة...

- «طفلتي.. الوحيد الذي يملك الصورة الكاملة هو الله.. أما نحن فلا نرى إلا أجزاءً منها.. الحقيقة الكاملة لديه... هو يعلم الغيب.. يعلم السر وما أخفى.. ولا يخفى عليه شيء.. ومهما تبحرنا في العلوم ووصلنا بها ما وصلنا.. إنما ما أوتينا من العلم إلا قليلًا.. ولو اغترّت المخلوقات لاكتشافاتها وتقدمها بالعلم وبلوغها من العلم مبلغًا يظنون أنهم وصلوا فيه للألوهية من صنع وخلق وتحطيم.. إنما ما أوتوا إلا القليل.. برأيك، هذا الكون الممتد والعوالم التي فيه والمخلوقات من يحيط بها؟».

- «الله».

- «أصبت.. وهو وحده عنده الحقيقة الكاملة.. لذلك لكل مخلوق منا هدف خلق لأجله في هذه الحياة وهذا الكون.. لكل منا رسالة للآخر.. لم نخلق عبثًا».

ظللت أرمق هارون صامتة أقلب حديثه في مخي..

مرت فترة صمت....

- «لقد دمجوا دمي بدمهم وورثت صفاتهم».

- «من؟».

- «ألا تعلم؟».

- «طفلتي.. أنا في صومعتي.. لا أعلم ما يحدث لك..».

تنهدت.. نظرت في عينيه البيضاويين، وبدأت أقص عليه ما مر علي من أحداث.. من البداية..

بداية البداية.. من دخولي مكتبة (دار الكتب القديمة) إلى آخر ذكرى لي مع قبيلة لامو... وطوال الفترة التي تحدثت بها لم يقاطعني هارون، إنما كان يمسح على لحيته، وعندما فرغت من حديثي وضع يده على ركبته...

- «هممم.. ريم».

- «نعم جدي هارون».

- «أتذكرين ما قلته لك قبل أن تختفي؟».

- «إنني أحمل كل الإجابات داخلي؟».

- «نعم».

- «كيف؟».

- «تخافين كثيرًا يا بنتي».

- «طبعًا.. كنت سأموت.. أكثر من مرة».

- «هممم... لم تخافين من الموت؟».

- «ألن تنتهي حياتي؟».

- «وما بعد أن تنتهي حياتك؟».

- «عفوًا؟».

- «ما الفكرة أو الشعور الذي ينتابك بعد أن تنتهي حياتك؟».

صدمت من سؤاله... فكرت.. «لا أعرف ما الذي سيحدث لي!».

- «وماذا لو لم تعرفي؟».

حدقت فيه سائلة: «ماذا؟».

أجابني: «وماذا لو لم تعرفي ماذا سيحدث لك؟.. أنت تخافين من المجهول».

- «نعم أخاف..».

- «إذًا.. وماذا لو لم تعرفي المجهول؟».

- «كيف سأتصرف؟».

- «وماذا لو لم تعرفي كيف تتصرفين؟».

ألجمني سؤاله.. فأسئلته تزيد في حيرتي..

- «ريم.. أغمضي عينيك.. تنفسي.. تنفسي».

وبدأت أتنفس كما علمني مسبقًا إلى أن استرخيت..

ومن ثم جاء صوته: «تخيلي نفسك تحت شلال من نور.. نور من الله.. دافئ».

بدأت تخيُّلي.. وأحسست باتصال عميق جدًا.. وخلجات قلبي تتقافز ودموعي تتحدر... أحسست بالضعف... أحسست بالانكسار.. بالحاجة إلى قوة ربي.. تمتمت: «ربي».

هنا سألني هارون: «أتسمحين لي بالاستمرار بالسؤال؟».

هززت رأسي أن نعم..

- «ماذا يأتيك من شعور بسبب المجهول؟».

- «أحس بالخوف».

- «ماذا يأتيك من فكره بسبب الخوف؟».

- «ماذا لو عوقبت على ذنوبي؟».

- «ماذا يأتيك من شعور لفكرتك هذه؟».

- «أشعر بالعار أنني قد لا أكون إنسانًا جيدًا».

- «ماذا تأتيك من فكرة لشعورك هذا؟».

- «....لا شيء... عدم».

- «وماذا يأتيك من شعور بعد العدم؟».

- «لا شيء».

- «جميل... ماذا يأتيك الآن من فكرة بعد اللا شيء؟».

صمت برهة.. «أريد الاتصال بالله».

- «جميل.. وماذا يأتيك من شعور؟».

- «اطمئنان».

- «جميل.. وماذا تأتيك من فكرة؟».

- «أني بخير.. أنه لا بأس.. حتى إن فشلت أو أخطأت أو تعثرت فربي غفور رحيم».

- «جميل.. وماذا يأتيك من شعور؟».

هنا هدأت.. هدأت فجأة.. حل سلام في قلبي.. حل سكون...

- «سلام».

- «جميل.. ريم أتسمحين لنفسك العيش بسلام.. والمجهول موجود كلنا لا نعلمه، لكن كلٌ في وقته ستتعاملين معه بكل أريحية.. بدون خوف.. بتقبل؟».

- «نعم.. أسمح لنفسي».

- «جميل.. أتسمحين لنفسك بالغفران لنفسك لو أخطأت أو أذنبت أو فشلت؟ أنه لا بأس إن لم نصب في قراراتنا أو أفعالنا أو أقوالنا أو أهدافنا؟».

- «نعم.. أسمح لنفسي».

- «جميل... مبارك، فالآن أنت حرة من خوفك هذا..».

[تنج]

[تم ترقية الاتصال بالأثير إلى المستوى الثاني]

[تنج]

[جارٍ إعادة الاتصال إلى عالم زورونا]

[تنج]

[تم الاتصال بعالم زورونا]

وحينها تلاشت ريم من أمام هارون..

ابتسم هارون قائلًا: «انوي أن تكون أيامك مليئة بالمتعة والسعادة يا بنتي.. فلا ظلام إلا وبعده نور».

خطوات الظلام..

حرك الرجل البلورة الكريستالية -بحجم كرة القدم- التي أمامه لليمين واليسار، وظل يرقب كرة النور الصغيرة في جوهرها..

تمتم: «لا يوجد متسع من الوقت».

أمسك بغليونه ولثمه وأشعله، ومن ثم أخذ نفسًا عميقًا أطلقه من شق كأنه شفتيه والتفت إلى مساعده..

«هيليوس أعطها 10 ساعات.. وتخلص منها إذا فشلت».

ضرب هيليوس صدره بباطن كفه اليسرى وانحنى لقائده، وخرج من القاعة التي كان فيها...

جلس إيكاروس على عرشه... هذه الفتاة اختفت منذ ما يقرب من عقدين من الزمان بعد أن فشلت في مهمتها وانقطعت أخبارها..

الآن هنالك فرصة أخرى..

«سيدي».. خرج الصوت من مكان ما في قاعته..

- «تحدث».

- «لقد وصلوا».

- «أدخلهم».

- «حاضر».

أخذ إيكاروس نفسًا آخر من غليونه، وظل يطرق بإصبع على قاعدة الغليون ويلمسه.. إنها غالية، فهي جزء من جمجمة أحد أعدائه الذي تخلص منه بعد عناء...

فُتح باب القاعة على مصراعيه.. ودخلوا.. عشرة أشخاص.. كلهم بأقنعة وعباءات بيضاء.. الأقنعة بلا ملامح كما وجه إيكاروس... تبرز منها عيونهم فيها

كما وجه إيكاروس...

ارتفعت من الأرض طاولة مستطيلة.. جلسوا حولها.. وإيكاروس على رأسها...

أخذ نفسًا عميقًا من الغليون وأطلقه... مقلتا عينيه تحولتا من اللون الرمادي إلى الأحمر..

«سيدي.. نواجه نقصًا في الموارد في القطاع السادس يحتاج إلى تدخلك».

أمال إيكاروس رأسه ونظر للرجل الذي تحدث.. كشر عن ابتسامة في وجهه منعدم الملامح، ابتسامة ترى فيها ثنايا أسنانه ممتدة كأنياب حادة... وفرقع بأصابعه.. انفجر رأس الرجل ليلون المشهد بالدم الأحمر.. شهق اثنان من الحضور فيما ظل الآخرون صامتين، فهذه ليست غريبة على قائدهم...

«لا تتحدث.. لا تتنفس.. لا تفكر من دون إذني». قالها إيكاروس وهمْ يعبث بغليونه متململًا..

ضرب الحضور صدورهم ببواطن أيديهم اليسرى إشارة إلى استماعهم لأوامر قائدهم..

طرق إيكاروس الطاولة بإصبع السبابة.. انفتحت فُتحة في المنتصف وتحركت تسعة ألواح لكل شخص بانسيابية...

أخذ نفسًا عميقًا آخر من غليونه وأطلقه قائلًا: «أمامكم أسبوعان لتأتونني بالنتائج....البوابات الكونية ستفتح عنوة خلال 10 ساعات من الآن... إذا فشلتم فلا تمثلوا أمامي.. انصرفوا».

ضرب الحضور صدورهم ببواطن أيديهم اليسرى مرة أخرى وكُلٌ قام من مكانه وخرجوا من حيث أتوا...

رجع إيكاروس إلى عرشه..

وظل يحدق في البلورة أمامه... تشكلت سحابة

من كهرباء ساكنة داخل البلورة وبدأت شرارات بالتشكل...

وهنا ضحك قائلًا: «ممتاز.. ممتاز».

وقهقه ضاحكًا..

فنيئةً ذلك الرجل مخيفة.... ظلام..

ظلام في ظلام...

ألقى راكان نظرة أخيرة على ريم النائمة لليلة كاملة في منزل الحكيم بعد الأحداث التي حدثت لها ليلة أمس، وخرج متجهًا إلى المجلس حيث زعيم قبيلتهم سرداد الذي كان يقيم الطقوس الصباحية فيها..

تنهد راكان ممتعضًا قبل وصوله لمدرجات المجلس... إنه لا يتوافق مع رأي وأوامر زعيمهم لكنه سينفذها على أية حال..

ولكن لم يرد زعيمهم الهجرة الآن!!!

إن هذا الفصل هو فصل الصيد، وهو من أشد الفصول خطورة للتحرك كمجموعات لكثرة نشاط الوحوش؛ حيث تحشد كل القبائل قواها للدفاع أو الهجوم أو الصيد، لكن لم يحدث أن هاجرت أي قبيلة مسبقًا إلا عند تدميرها أو غزوها من قبل وحوش ضارية لا يمكن السيطرة عليها!

توقف راكان، تنهد، بعثر شعره بيده قبل أن يكمل سيره إلى المجلس..

رمق سرداد راكان بنظرة جانبية وعلت ابتسامة متعجرفة طرف شفته اليمنى، عقد ذراعيه أمامه وهو يتطلع إلى صديق طفولته يتقدم إليه... *آآآه هذا الوجه الجامد ذاته... لأداعبه قليلًا..* هذا ما دار

في خلد سرداد...

وقف راكان أمام سرداد وحيّاه بهزة من رأسه.. اتسعت ابتسامة سرداد المتعجرفة قائلًا: «كيف حال ابنتك؟».

تجمد راكان في مكانه وهو يحدق بسرداد ومن ثم أجاب بجفاء: «نائمة».

- «هل ستعيش؟».

- «هذا ما يؤكده والدك».

- «..... ممم.. كنت أظنها أنثى من قبيلة ما قد سلبت لبك من دون علمي».

نخر راكان دون أن يرد على تهكم سرداد.. إنه يصطاد في الماء العكر... ألا يكفيه زواجه من محبوبته بعد صرعه في نزال للحصول على رضاها للزواج منه! كان لها الخيار أن تختار بينهما لكنها فضلت سرداد عليه.

اعتدل سرداد في جلسته وظل يرمق خنجره قائلًا: «متى ستنطلق؟».

- «أنا لن أتركها!».

- «هذا ليس طلبًا».

تشنج المقاتلون الملكيون في وقفتهم وتأهبوا لمعركة بين الاثنين، كالعادة..

ولكن، على غير عادته ظل راكان واقفًا بصمت دون أن ينقض على زعيمهم على الرغم من تسديد عينيه نظرات كالسهام عليه...

رفع سرداد حاجبيه تعجبًا وضحك قائلًا: «أمامك حتى مغيب هذا اليوم».

قام سرداد من مكانه واتجه مع ستة من المقاتلين الملكيين إلى ساحة التدريب، ثم توقف والتفت إلى راكان قائلًا: «لا تنس نصيبك من صيد أمس...».

نخر راكان مرة أخرى..

ورجع سرداد إلى مسيره ضاحكًا...

رفع راكان رأسه إلى السماء وأغمض عينيه محاولًا كبح جماح غضبه.. فتح راكان عينيه وهو يفكر:

سرداد.. صديقه من طفولته... سارق حبيبته.. غالبه في القوة.. زعيم قبيلته.. داهية لعوب.. يا له من مزيج مجنون!... ومع ذلك علي أن أطيعه لأجل القبيلة.. أو بالأحرى لأجل ماريك وليلك...

ريم.. تائهة وأنا القائم عليها... مسؤوليتي.. خُتم علينا برابط لا ينقطع...

خرج راكان إلى الأبراج ومنها توغل في الغاب أكثر.. سيفرغ حنقه وغضبه باصطياد وحش ما، وفي الوقت نفسه يبحث عن مخرج من مهمة سرداد..

«تبًا، المدينة المحرمة!».

ضرب راكان أحد جذوع الأشجار التي على يمينه مما أدى إلى انبعاج فيها وميلها على الأشجار الأخرى... تنهد مرة أخرى.. واصل مسيره الحانق؛ ومن ثم تسمر في مكانه...

لقد التقطت أذناه صوت خبيب ومن ثم صهيل، بدأ راكان يمشي خُلسة نحو مصدر الصوت وأطل يرمق خُلسة من خلف أحد جذوع الشجر..

إنه هناك.. واقف منفردًا.. حصان الحرب... أسود كالظلام.. ضخم كالشموخ... يفوق المترين ارتفاعًا وضخامة.. عرفه وشعر ذيله طويل جدًا وغليظ... يحك قرنه بأحد جذوع الشجر... حيوان شرس جدًا... جميل جدًا... لكن... لهذا سمي حصان الحرب... لترويضه يجب عليك إخضاعه بالقوة... لكن لا توجد سابقة في قريتهم أو خبير من عندهم

قام بهذا مسبقًا..

ابتسم راكان، وتحوّط الأشجار خُلسة ليصل إلى خلف الحيوان المنشغل بشحذ قرنه في جذع الشجرة... وهنا انطلق راكان، حول يديه إلى أربطة من أغصان الشجر غلفت بطن حصان الحرب ورفعته من منتصفه إلى الأعلى، ليقوس راكان ظهره للوراء راطمًا جسد ورأس حصان الحرب على الأرض... اضطرب الحصان محاولًا عض ورفس من يقيده.... فجأة وقف على حوافره وارتطم بجسد راكان وألقاه لكن لحسن الحظ أن راكان ما زال متشبثًا به عن طريق يديه.. لم يتوقف راكان عند هذا، إذ قام برفع الحصان مرة أخرى وبدأ يركض ويدفعه ليرتطم بجذوع الشجر في طريقهم ومن ثم ثبته راكان على جلمود صخري على ارتفاع متر من على الأرض.. وبقي على هذه الحال يتفادى عض وطعن ورفسات حصان الحرب المميتة، ويعيد تكوين الأغصان من يده عندما تتضرر من هجمات حصان الحرب المقاومة... بقي راكان على وضعه ساعتين ثابتًا يتلقى كيلًا من الطعنات والرفسات بصدر رحب... إلى أن استسلم حصان الحرب له؛ حيث أخفض رأسه وقرنه للأرض علامةً على الاستسلام...

اقترب راكان منه بحذر وصهل حصان الحرب بصوت عالٍ، قرّب راكان قرونه من قرون حصان الحرب، وهنا بدت قرون راكان كأنها تذوب وتلتصق بقرن حصان الحرب...

هنا تمتم راكان قائلًا: «أنا راكان لامو أسميك سديم، أحيا في الروح ورفيقًا في الدرب».

صهل سديم كأنه يعلن تأييده؛ ومن ثم تشكل وشم على كل من سديم وراكان... وشم قرن واحد بنهايته

ورقة شجرة..

راكان على كتفه اليمنى، وشم أسود اللون، وسديم على جبهته أعلى قرنه، وشم أبيض اللون..

بعدها انفصل قرن راكان عن قرن سديم لتعود القرون إلى سابق عهدها.. ابتسم راكان بعدما أفلت سديم من براثنه، ووقف سديم يهز رأسه يمنة ويسرة ينفض عنه غبار معركة القوى التي خسرها.. ظل سديم مطأطئ الرأس يتنفس بحسرة وذل.. طبطب راكان على رقبته بقوة ورفع رأس سديم ليسند جبهته أسفل قرنه.. ويتمتم: «ما زالت أمامنا معارك أخرى.. ما بيننا صار في الماضي يا أخي».

نخر سديم مرة أخرى وصهل....

ربت راكان على سديم قائلًا: «والآن.. لنفكر كيف نخرج من مأزق مهمتي مع سرداد».

امتطى راكان سديم، وبدأ سديم بالجري متوغلًا أكثر في الغابة...

قام فيها راكان بالتدرب على الصيد ممتطيًا ظهر سديم، وتدريب سديم على الانصياع لأوامره....

كان نجمهم في كبد السماء عندما رجع راكان مع سديم إلى القرية والمقاتلون يرمقونه بنظرات إعجاب واندهاش، فراكان يعتبر أول مقاتل في قريتهم تمكن من ترويض وحش، فما بالكم بحصان الحرب!

التف بعض المقاتلين حول سديم وراكان يتفحصونه بأعينهم، وسديم يحاول نطحهم بقرنه أو عضهم للابتعاد عنه، إلا أن راكان شزعان ما سيطر على غضب سديم وجعله يثبت في مكانه، نزل راكان ومشى أمام سديم الذي تبعه وهو يحمل جثث خمسة وحوش على ظهره وستة أخرى

يسحبها، كل وحش يختلف عن الاخر..

تجمعت النسوة في منتصف قسم المبيت في القرية يرمقن راكان وسديم وهما يتقدمان إلى خيمة الحكيم، وجرى همس وغمز ولمز، فبعضهن يعتقدن أن راكان سيعلن عن اختياره لزوجة هذا المساء -كما هو رهانهن كل موسم صيد- وهو حدث سيسبب جلبة للقرية لو تحقق، فهذه عادة المقاتلين عندما يخرجون وحدهم لاصطياد وحوش كثيرة في موسم الصيد كمهر يقدمونه لمحبوبتهن، والبعض منهن يمصمصن شفاههن رهبة وخوفًا من أن يقع الاختيار عليهن...

تفرقت النسوة عندما رمقتهن ليلك بنظرة غير راضية، والتفتت إلى راكان الذي أوقف سديم بجانب منزلها...

- «أهذه إحدى نزواتك؟».

- «لا، هذا سديم».

- «لم حصان حرب؟!».

- «.... » .

- «هل هذا بسبب سرداد؟».

- «كيف حال ريم؟».

- «ادخل وانظر بنفسك».

هز راكان رأسه، ودلف إلى داخل منزلها...

نظرت ليلك مرة أخرى إلى بقعة في منتصف مساحة المبيت، وهي ترى زوجة ابنها الثانية تحمل طفلًا صغيرًا عند خصرها وترمق مدخل منزلها.. هزت ليلك رأسها بامتعاض ولحقت براكان داخل المنزل...

ظلام...

«هارون؟».

لم يجبني أحد....

تلفت يمنة ويسرة.. ظلام...

[تنج]

«هاتف؟».

[تنج]

[ما سؤالك؟ لديك عدد 5 أسئلة في اليوم تسألينها]

«أين أنا؟!».

[تنج]

[في داخلك]

«لم؟».

[تنج]

[تأثير التزامن الكامل للحمض النووي أدخل جسدك في حالة صدمة عند حيز التفعيل وجرى بعدها تخفيف حدة المعلومات المتلقاة]

«ماذا؟!».

[تنج]

[تم تفعيل تقوية حواسك وضبطها ًمرحليًا]

«مرحليًا؟».

[تنج]

[وفقًا لتأقلمك وممارستك للصفات الجديدة سيتم رفع مستوى الإتقان]

[تنج]

[تبقى لديك سؤال واحد لهذا اليوم]

صمت، لم أرد أن أخسر اخر سؤال... مع أن ما

سمعته غير قابل للتصديق!

لأحتفظ بالسؤال لوقت لاحق..

[تنج]

[هل لديك أي سؤال؟]

«لا».

[تنج]

[جارٍ إعادة وعيك]

[تنج]

وهنا فتحت عينيّ لأرى راكان متربعًا بجانبي عاقدًا يديه أمام صدره مغلقًا عينيه، وليلك بجانبه تحيك شيئًا بيديها...

جلست وفتح راكان عينيه: «أنت بخير؟».

ابتسمت: «على ما أظن».

تنهد راكان ومن ثم قام وخرج من المنزل...

نظرت إلى ليلك التي جلست بجانبي تحيطني بذراعيها: «هل حقًا أنت بخير؟ ألا تشعرين بأي ألم؟».

«أنا بخير.. حقًا».

وجفلت فجأة لسماعي ذلك الصوت... الصوت نفسه الذي سمعته أول وصولي لهذا الجزيرة..

نظرت حولي.. الصوت يأتي من خارج المنزل!

دخل راكان مرة أخرى وجثا أمامي قائلًا: «أتستطيعين الوقوف؟».

نهضت من مكاني بدون أي صعوبة وقادني راكان إلى خارج منزل الحكيم وحينها رأيته... اختلج قلبي متذكرة أول مواجهة لي مع هذا المخلوق... الغريب أن راكان تقدم وبدأ يمسح على جبهته وهو ينظر إليّ قائلًا: «هذا سديم، أخي».

فغرت فاهي: «أخوك؟!».

حرك راكان كتفه باتجاهي لأرى الوشم الذي على كتفه، ثم طبطب على الوشم الذي على جبهة حصان وحيد القرن قائلًا: «أرواحنا متصلة الآن».

استغرقت دقيقة لأستوعب ولأبني نظرية أن راكان روض الحصان وحيد القرن، وهذه علامة راكان الخاصة به...

مد راكان يده إليّ ولكني لم أفهم..

ابتسم قائلًا: «ضعي يدك على جبهته ولا تخافي».

إنها أول مرة أراه فيها مبتسمًا، مددت يدًا مرتجفة ووقفت على أطراف أصابعي لأصل لجبهة سديم لضخامته، أنزل سديم رأسه لتلامس جبهته يدي، ومن ثم وضع راكان يده على يدي وأغمض عينيه وتمتم بشيء لم أفقهه..

ومن ثم أحسست بحرارة خلف لوح كتفي اليمنى ونغزة في قلبي...

نظر إليّ راكان نظرة جامدة ومن ثم ابتسم وأزاح يده وبدأ يطبطب على رجل سديم اليمنى..

- «لقد تم».

- «ما الذي تم؟».

- «نحن ثلاثتنا مرتبطون روحيًا».

جرت بجسدي قشعريرة «أنت مشعوذ؟!».

«مش.. ماذا؟!» لم يفهم راكان ما قالته ريم..

تنهد راكان قائلًا لريم: «سديم سيطيعك كما يطيعني، لكني أنا السيد الأول له، وبهذا إذا كان أي منا في خطر سنشعر بذلك».

- «يا للعجب! جهاز إنذار روحي!».

أمال راكان رأسه، فريم تنطق بكلمات لا يفهمها..

هل ما زال رأسها متأثرًا مما تعرضت له بالأمس؟!

نظرت ريم إلى سديم.. لونه أسود يبرق كالألماس.. مدت يدًا مرتجفة تريد أن تلمس شعره الغليظ الطويل.. قام سديم بإنزال رأسه ومسحها بيدها.. استحسنت ذلك وبدأت تمسح عليه... وفجأة احتضنها سديم برأسه.. طوقها بين رقبته ورجله اليسرى وبقي هكذا مدة...

أغلقت ريم عينيها واستقبلت هذه اللفتة بكل حب.... ابتسمت في قرارة نفسها.. لا تعرف كيف فعلتها! ولكنها توقعت بأنها ستفر هاربة من هذا المخلوق...

ظلت ريم واقفة مدة من الزمن وراكان يرمقهما بفضول، ليس لديه خبرة في ترويض هذا الوحش، كل ما يعرفه عنه يفيد في كيفية صرعه وتفادي الإصابة بطعنة مميتة من قرنه...

[تنج]

[تم تفعيل الاتصال بسديم]

رفعت ريم رأسها مندهشة ونظرت إلى عيني سديم....

نخر سديم: «قرون كبيرة... سيدي.... لا قرون... أختي».

اتسعت عينا ريم.. أهذا صوت سديم؟!

(هاتف) أهذا صوت سديم؟!

[تنج]

[نعم، تمت معالجة آخر سؤال لهذا اليوم]

عضت ريم شفتها متحسرة على ضياع السؤال، ولكن بالوقت نفسه اتسعت ابتسامتها قائلة: «يا إلهي، كم يحوي هذا الكون من أسرار!».

«كون؟! أسرار؟!». قالها راكان متسائلًا.

- «هل تستطيع سماع كلام سديم؟».

- «إنه وحش لا يتكلم، لكن أستطيع الشعور به».

وهنا يا سادة.. ماذا يمكن أن يحدث؟.. طبعًا.. غرغر بطني جوعًا..

ابتسم راكان وهو يسحب إحدى جثث صيده ويبدأ بسلخها بواسطة خنجر عظمي قائلًا: «سيجهز الغداء بعد ساعة.. ريم أرجو أن تطلبي من عمتي ليلك أن تساعدك للتجهيز لرحلة طويلة».

«رحلة؟!» قالتها ريم متسائلة.

رفع راكان خنجره قائلًا: «هناك الكثير من الدروس لتتعلميها».

ابتسمت ريم وقفزت فرحةً قبل أن تركض إلى داخل منزل ليلك متحمسة، فقد كانت تتخيل كل أنواع القوى الخارقة التي من الممكن أن تكتسبها..

لكن شزغان ما اختفت ابتسامة راكان عند دخولها، التفت راكان إلى سديم الذي بدأ يأكل النصف الآخر من جثة الصيد، ضربه راكان بخفة ليتوقف عن الأكل، ومن ثم قال له: «علينا أن نحميها».

هز سديم رأسه أفقيًا صاهلًا موافقًا كلام راكان..

ضحكت ريم وهي تسمع صوت سديم: «سديم.. لا قرون.. يحمي».

اضحكي يا ريم..

فأمامك رحلة لن تنسيها إلى الأبد....

خرج سرداد من منزله متجهًا إلى المجلس لينتظر خروج راكان..

لحقته زوجتاه، من أجمل نساء القبيلة، لديه ابنان من كل واحدة منهما، لا تتجاوز أعمارهم

الخمسة عشر عامًا، مشى متفاخرًا إلى أن وصل إلى المجلس...

نصف أفراد القبيلة جالسون على المدرجات، لا علم لهم بسبب دعوة زعيمهم لهم..

نظر سرداد إلى نجمهم، ما زالت هناك ساعة للمغيب، وجلس في صدر المدرجات تعلوه ابتسامة وعلى جانبيه زوجتاه يحدثهما تارة ويغازلهما تارة أخرى، لكن شزعان ما امتقع وجهه وهو يرقب راكان من بعيد، يتبعه الوحش الذي روضه ظهر اليوم وعلى ظهره ريم، التائهة، قام سرداد من مجلسه وجسده يهتز غضبًا..

أمّا راكان فواصل تقدمه لساحة المجلس تتبعه ليلك وماريك.. ليلك بدموعها، وماريك قابض على يده خلف ظهره، ويرمق ابنه بنظرة عجز عن تفسيرها..

لم على راكان أخذها؟ اللعنة.. سيفسد خططه!

تصاعدت أفكار سرداد مع تصاعد حنقه وقلقه..

انطلق سرداد يمشي نحو راكان قائلًا: «إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟».

نظر إليه راكان بجمود قائلًا: «أنفذ أوامرك».

- «وهي لا تقتضي أخذك للتائهة معك».

تقدم ماريك ليقف بينهما ويوجه كلامه لسرداد: «إنه الحافظ.. إن لم يقم بمهمته ويصبها سواء سيموت أو تحل عليه لعنة على أفضل الاحتمالات».

«هي تبقى هنا». قالها سرداد وقد أشار لمقاتليه برأسه ليأخذوا ريم..

تقدم اثنان من المقاتلين الملكيين، لكن لسوء حظهما قفز سديم ليرفس وجه أحدهما ويطعن الاخر وينطلق جاريًا بسرعة البرق إلى حيث

الأبراج..

- «راكان أجلب وحشك».

ابتسم راكان ورفع كتفيه قائلًا: «لا أستطيع فقد هرب وهي على ظهره ولن أستطيع أن أجاريه لسرعته»

ومن ثم التفت راكان ملوحًا لكل من ماريك وليلك «إلى اللقاء»، وانطلق يركض خلف سديم.

وقف سرداد يتطلع إلى غبار كل من سديم وراكان، التفت إلى لوما وسوما، مقاتليه التوأمين الأسمرين، اقتربا منه حينما تمتم يأمرهما: «ريم حية.. راكان دعوه يذهب حيًا أو بالكاد».

هز كل منهما رأسه وانطلقا على إثر راكان..

- «سرداد ألا يكفي؟».

نظر سرداد إلى والدته ليلك ودموعها تتحدر قائلًا لها: «أنا ابنك وليس هو».

- «لكنها طفلة».

- «إنها دخيلة».

- «لقد قمنا بالطقوس».

مط سرداد شفتيه وانطلق إلى ساحة التدريب حانقًا وهو يتمتم: «كله لمصلحتنا».

فوالداه لا يعرفان سر التائهين... لا يعرفان حقيقتهم...

تاريخهم قد يذكر بعض الحقائق..

لكن توجد حقيقة.... لا أحد يعرفها على الإطلاق... غيره هو...

- «سديم... يحمي.. لا قرون».

- «اسمي ريم يا سديم».

- «سديم... يحمي.. ريم».

- «سيدي.. يجري.. بطيء».

- «سيدك اسمه راكان، أرجوك انتظره» قالتها ريم وهي متمسكة باستماتة بعرف سديم كي لا تسقط بسبب عدوه السريع..

خفف سديم من عدوه، ودار حول نفسه عائدًا ليصل إلى راكان..

لمحت ريم راكان من على بعد، حينها التف سديم حون نفسه ليعود من حيث أتى ويهرول وينطلق بسرعة إلى أن جاراهم راكان بركضه؛ ومن ثم قفز راكان ليمتطي سديم ويثبت نفسه أمام ريم ويحول يديه لحبال تثبتها...

وهنا... هنا فقط...

انطلق سديم بسرعته الحقيقية..

وفهمت ريم أصل اسمه حينها...

«هاه.. هاه».

استلقى القزم على ظهره بعد تسلق خامس قمة...

«هذا جزاء تركي فتاة صغيرة لا حيلة لها في عالم زورونا».

لهث القزم مرة أخرى ومن ثم جلس ليشرب جرعة من الماء...

«أظن أن الزمن بدأ يطلب قوتي، فما كنت أنهيه بيوم الان لا أستطيع حتى أن أكمله بأسبوع».

ندم القزم على قدومه بدون استعداد كامل، فمعداته لا يستطيع تفعيلها لأكثر من عشر دقائق، ولكن لا يوجد أي متسع من الوقت، مجلس الشيوخ

يطالبونه بتثبيت استقرار المحطة الرئيسية للبوابات الكونية -مكتبة دار الكتب القديمة- عن طريق مفتاح بوابة كونية أخرى.. وهنا يقبع أقوى مفتاح، يجب أن يسحبه إلى المكتبة ويرقى به المحول الأساسي للب المكتبة...

مسح جبهته يعبث بساعة يده ويراجع تحركات المنافسين ويدعو الله بسهوهم عن هذه الجزيرة... الجزيرة كوكب بحد ذاتها.... كوكب مسطح صغير بغلاف جوي غريب وجاذبية تشبه تلك التي على الأرض.... تنهد القزم..

مسح القزم جبهته مرة أخرى... وبدأ يمشي بخلسة متجاوزًا الوحوش الطائرة والزاحفة..

متجاوزًا الطائرين...

الوقت يمضي....

خمس ساعات يعدو فيها سديم بسرعة جنونية وبدون توقف...

ريم ممسكة باستماتة بالحبال التي شكلها راكان لتثبيتها....

لا ترى شيئًا، فالمشاهد والأصوات تتخطفها بتقافز، والليل أسدل أستاره...

[تنج]

[تم رفع مستوى قدرة الحواس إلى الدرجة الثانية]

شهقت ريم وأغمضت عينيها لثانية وفتحتها مرة أخرى، ترى وتسمع وتشم وتشعر.. كيف كانت سابقًا تفعلها؟! كيف كانت حواسها من الدرجة الأولى؟!

فجأة خفت سرعة سديم، ودخل في وسط مجرى نهر، طفق يعدو فيه لساعة أخرى، وخفت سرعته

عدوه أيضًا إلى أن خبَت، وتناهى لمسامعهم صوت شلال، بعد خمس خطوات خرجوا من تحت مظلة من الظلام، وأنارتهم سماء مرصعة بالنجوم، التفتت ريم إلى الوراء لترى موج الشجر الضخم ينحسر عنهم وسديم يتقدم إلى الشلال، وفجأة بدأ بالعدو السريع وقفز داخل الشلال....

نخر سديم: «بيت سديم».

♫ طق طق ♫

جالسون حول النار.. أسند سديم رأسه في حضني وذقني متوسدة عرفه وألعب بشعره الكثيف... أراقب راكان وهو يقطع لفائف لحم غريبة ويستخرج أحجارًا ملونة من كل لفافة.. أحدها حجر أملس زيتوني اللون.. وآخر كحجر من الجرانيت وحجارة أخرى كل بحجم ولون وشكل وملمس مختلف....

نخر سديم: «سديم.. يأكل قوة.. سديم... مهيب».

ضحكت ريم، رفع راكان رأسه باسمًا يسألها: «ما المضحك؟».

- «إن نادر يقول: إنه سيأكل القوة ليصبح مهيبًا».

- «من نادر؟».

انطفأت ابتسامة ريم واغرورقت عيناها بالدموع وعضت أسفل شفتيها تخنقها العبرة...

سرت موجة كالمذبحة في جسدها... كم يدميها الشوق إلى أهلها.. والديها.. أخيها وأختها.. حضن أمها!...

وضع راكان ما كان بيده على الأرض: «لم تبكين؟».

- «أ..أنا لا أبكي».

- «بلى، روحك تبكي».

نخر سديم مؤيدًا: «ريم.. بكاء».

هزت ريم رأسها محاولة نفي شكوكهما، وظلت تحدق في النار والأحجار الملونة أمامها..

- «أريد العودة إلى أهلي».

هز راكان رأسه متفهمًا وظل ينظر إليها بشفقة.. يتفهم حزنها.. لقد نشأ يتيمًا، فلا يعرف إلا شوقه لماريك وليلك... وذلك الصعلوك سرداد...

«كم عمرك ريم؟».

تحدرت دمعة منها وهي تجاوبه: «17 سنة». وارتعبت لفكرة أنها قد لا ترى أهلها أبدًا باقي عمرها...

أمسك راكان بالسكين قائلًا: «مممم... في مقياس طورنا تكونين قد دخلت المرحلة الأولى أو الثانية إذا حالفك الحظ».

دفنت ريم رأسها في عرف سديم كمحاولة يائسة منها دفن حزنها.... أجهشت ريم بالبكاء؛ لتعزف دموعها آلامًا تقطع أوتار روحها من الفراق والشوق..... وضاع صوت حزنها مع صوت الشلال المستتر وراءها...

«هكذا وجدتك» تمتم بها راكان..

ومن ثم أكمل: «نحن هنا الآن.. أنا وأنت وسديم».

رفعت ريم رأسها فجأة، فما قاله يشابه حديثها مع القزم!

ابتلعت ريم غصتها وأخذت نفسًا عميقًا، ثم سألت راكان: «أحقًا وجدتني وحيدة؟!».

تعجب راكان من سؤالها: «ألم تكوني كذلك؟!».

سكتت ريم.. لم تعرف كيف تجيب.. وهل من الصواب قول الحقيقة لراكان؟ خلجات قلبها

اضطربت...

نظر راكان مطولًا إلى ريم، وسرى صمت يحكمه صوت سريان الشلال....

- «مهما تكن الحقيقة.. اعلمي أني لن أتركك.. لا أنا ولا سديم.. سأحميك.. سأعتني بك.. فروحي مع روحك معقودة.. هذا عهد.. كوني الحافظ لك».

- «معقودة؟!».

- «أشعر بك كما أشعر بسديم».

- «وهل تنقطع هذه العقدة؟».

- «همم.. ممكن.. مع موت أحدنا... كل الذي أعرفه أنه ألم وكأن شيئًا ينتزع من صدرك».

- «ماذا لو ابتعدنا؟».

- «سأظل أشعر بك».

- «ماذا لو اختفيت إلى بعد آخر؟».

- «بعد آخر؟».

- «مكان غير موجود في عالمكم هذا... ماذا لو عدت أنا إلى عالمي؟ ما الذي سيحدث؟».

- «.....».

لم ينطق بعدها راكان... ظل يعمل على الأحجار يقطعها ويسويها.. يعلم الله ما الذي يصنعه بها...

أنصتت ريم إلى صوت الشلال لمدة... وثقلت عيناها.... ما زالت مشاعرها في دوامة...

- «نادر هو أخي الصغير».

- «هممم».

- «وأريام أختي كذلك، هي توأمه».

- «هممم».

- «كلاهما أصغر مني».

- «... ».

- «راكان... كم عمرك؟».

- «أربعون عامًا».

- «أربعون؟».

ابتسم قائلًا: «نعم». فريم دائمًا ما تكرر عليه إجاباته لها!

- «ماذا عن والديك؟».

- «أنا يتيم.. رعاني كل من ماريك وليلك».

- «لم أر لك زوجة أو ولدًا».

- «لأنهم غير موجودين».

نخر سديم معلقًا وانفجرت ريم ضاحكة..

رفع راكان أحد الأحجار وهو يرمق كلًا من ريم وسديم بفضول وسأل ريم: «هل تعين ما يقول؟».

ترددت ريم في الجواب، ومن ثم قالت: «نعم.. أسمع صوته يحدثني بالكاد.. لكنه ثلاث أو أربع كلمات متقطعة أحاول أن أربط بينها لأفهمها».

«ممم.. كيف لوحش الحديث؟».

نخر سديم مرة أخرى...

- «راكان.. لمَ يريد سديم أكل هذه الأحجار؟».

- «لأنها تؤكل كطريقة متطرفة لدفع عجلة التطور».

- «حقًا! أيمكنني أن أجرب؟».

- «لا.. سديم أولًا».

نخر سديم ورفع رأسه من حضن ريم والتفت إلى راكان متحمسًا وأخذ يأكل ما بيد راكان بامتنان...

«هذا لب الأفعى السداسية» قالها راكان مبتسمًا وهو يرقب سديم..

وبعدما فرغ سديم قام من مكانه فجأة... أمر راكان ريم بتغيير مكان جلوسها لتجلس بجانبه

وألا تتحرك أو تنطق مهما يحدث أمامها.. امتثلت ريم لأمره، وبعد جلوسها ترنح سديم قليلًا ومن ثم جلس... وبدأ جسده يختض ويهتز وعضلاته تتشنج... ابيضت عينا سديم.... رفع رأسه للأعلى... تموج قرنه فجأة... وظل يتموج لمدة لا بأس بها.. وبعدها تحول قرن سديم من اللون البني إلى الأسود... وبدأ حجمه يكبر قليلًا.. وتوقف كل شيء فجأة..

نخر سديم: «سديم.. مهيب» وبدأ يشخر نائمًا!

تبادلت ريم وراكان النظرات...

«لنرتح الليلة.. وغدًا سأوزع باقي الأحجار.. أنا سأحرسكم إلى أن يستيقظ سديم بكامل قوته».

أومأت ريم برأسها..

رفع سديم رأسه فجأة ونخر: «ريم.. نوم.. هنا».

وافترش سديم الأرض على جانبه... وذهبت ريم لتستند إلى جنبه الدافئ.. ظلت تمسح وبره... ونامت...

ظل راكان ينظر إليهما إلى حين جرفهم النوم، ومن ثم وجه ناظريه إلى ما خلف الشلال....

هناك كانا واقفين.. بقرون كقرون الجواميس..

نهض من مكانه.... وخرج إليهما...

ليبدأ مشوارًا جديدًا...

في هذه الخطوة...

- «لامو.. ما تفعل هنا؟».
- «إني مارٌ فقط».
- «لديك أنثى، أهي أنثاك؟».

- «نعم».

تبادل الرجلان النظرات... وفجأة زغللت عين أحدهما ومن ثم رجعت لطبيعتها....

- «شيب يريدك أن تغادر عند أول خيط من الصباح... فقط لأن لديك أنثى».

- «سيكون له ذلك».

أومأ الرجلان برأسيهما وحيّاه وانصرفا...

ظل راكان ينظر إلى المقاتلين ذوي المترين طولًا، بيض البشرة، ذوي شعر أزرق قصير، لكل منهما قرنان أسودان ضخمان على جانبي رأسيهما، تلك التي تشبه الجواميس، إنهما وأخوهما الأصلع رون نسخة مطابقة عن والدهما شيب، لربما آخر مرة رآه فيها كانت منذ خمس سنين، كهل ضخم لكنه يتكئ على عصا كأنها غصن شجرة شوكية... ظل راكان يراقب المقاتلين إلى أن اختفيا خلف غطاء الشجر...

ظل راكان واقفًا يستمع إلى الليل...

ظل واقفًا ساعة يخترق ببصره كل حركة.. وبدأ بالتراجع ببطء إلى الوراء وظهره للشلال إلى أن اختفت ملامحه تحت الشلال وتوارى عن الأنظار..

هنا أطل رأس وحش أسود الجسم أبيض الشعر شبيه بالضباع بقرون ومخالب طويلة جدًا..

- «لوما.. أنهجم؟».

- «لا.. لننتظر حتى يصل للمدينة المحرمة.. ليستخرج ما طلبه سرداد وعندها نهجم ونغنم الأنثى والكنز».

هز سوما رأسه وقال لتوأمه: «لنمش حول قبائل شيب، فلا أريد أن أكون زينة لعرشه».

وانطلقا داخل الغاب وإلى وجهة أخرى...

«سيدي... أتريدنا أن نتبعهم؟».

قالها أحد الرجلين اللذين كانا واقفين يتحدثان الساعة الماضية مع راكان..

«لا.. أرسل للطيارين أخطرهم بأن لامو يدبر أمرًا ما في المدينة المحرمة».

«أمرك» وانطلق الرجل راكضًا...

- «هممم.. لها رائحة تختلف عنا».

- «من سيدي؟».

- «أنثاه؟».

وبدأ زعيم قبيلة شيب بالرجوع إلى قريتهم وهو يتكئ على عصاه ويتبعه الرجل الثاني....

- «أبلغ رون أن يأتي لخيمتي».

- «أمرك».

حسنًا عليّ أن أقولها صدقًا.. إننا نقفز على بحر من الجلاميد الصخرية على امتداد البصر.. جلاميد مسطحة تطفو بطريقة ما على الهواء على امتداد بصرنا... واقتنص سديم سمكة صخرية أخرى كانت تود الانقضاض علينا!

تسألوني كيف اقتنصها؟ ألم يأكل سديم لب الأفعى السداسية؟! لقد ورث صفة إطلاقه أشواكًا من قرنه!!

ونقفز مرة أخرى لليمين ومن ثم للأعلى وها هنا نتفادى التهامنا من قبل فك مليء بالأسنان.. على الأقل لقد حظي بوجبة صخرية إذا التقم الجلمود الذي كنا عليه..

وانطلق سديم.. فنحن ما بين طلقات قرونه.. وأسهم راكان... استطعنا أن نصل إلى.. احم.. مجازًا سأسميها ضفة!

ولكن...

هل رأيتم جزرًا وجبالًا تطفو على ارتفاعات مختلفة...

يتخلل المشهد شلالات معكوسة إذ يصعد الماء من الأسفل إلى الأعلى... شلالات متفرقة على مد البصر.. كل جزيرة بتضاريس مختلفة، صحراوية، جبلية، صخرية، غابات، سهول، خليط، معمورة أو جرداء...

وضرب راكان وحشًا ما...

آه.. نسيت أن أخبركم.. هذه الجزر.. تتأرجح! كلٌ باتجاه مختلف!

«المدينة المحرمة» أشار راكان بإصبعه على نقطة ما أمامنا على مد البصر.....

[تنج]

[رفع الحاسة البصرية إلى 20 ضعفًا]

شهقت عندما بدأت النقطة بالاقتراب أكثر وأكثر وتتضخم الصورة أمامي بكل وضوح...

ست جزر طافية عليها أبراج ومبانٍ مختلفة، تتأرجح وتحوط تمثالًا ضخمًا جدًا على كافة أطرافه كأنها برواز له!!!

هناك شق نصف دائري في منتصف بطن التمثال تنبثق منه سلاسل حديدية تمتد إلى كل من الجزر....

التمثال صخري، ذو لون حجري رمادي، حجمه كحجم جبل ضخم، قد يكون أطول من كيلومترين!

شكله شكل رجل ذي ثلاثة قرون، وعيناه كأنهما معصوبتان.. رجل مؤتزر.... هناك تجويف في موضع القلب بإمكاني رؤية السماء وراءه من خلاله...

يداه متدليتان إلى الأسفل تلامسان فخذيه، كفه

كأنها قطعة واحدة لا يوجد تحديد لأصابعه...

كفه اليسرى ممسكة بشيء يشبه القلب! تنتشر خطوط محفورة كقنوات على التمثال كاملًا باختلاف اتجاهاتها...

هناك طيور تحوم حوله.. حمام؟! صقور؟!

إنهم بشر بأجنحة وقرون!

شهقت..

«إنهم الطيارون». قالها راكان، ومن ثم وجه سديم إلى اليسار واستكمل كلامه: «سنخيم هاهنا وننطلق في الليل».

- «الليل؟».

- هز راكان رأسه قائلًا: «الاستعداد للحرب هو انتصار بحد ذاته».

- «حرب!».

- نخر راكان قائلًا: «لدينا عمل نقوم به قبل أن نصل لوجهتنا».

سكت، فراكان أخبرني عن مهمته منذ أن غادرنا كهف الشلال من ثلاثة أيام، عليه سرقة البلورة التي تقبع في منتصف المدينة المحرمة وتقديمها لسرداد ليستعدوا للهجرة... البلورة تقع في بطن التمثال الضخم نفسه... التمثال الذي يبث فيّ رعبًا بشكله وحجمه...

قلبي بدأ يقرع طبوله...

«ما رأيك أن تجربي الآن؟». قالها مشيرًا إلى ما يشبه السحلية الملتصقة بأحد الجلاميد في بحر الجلاميد هذا..

بلعت ريقي.. نعم.. أستطيع فعلها.. لقد دربني اليومين الماضيين..

رفعت يدي، سرى ذلك التيار وتلك القشعريرة في

داخلي، وانطلقت من يديّ كتلة كرصاصة من الهواء بسرعة إلى السحلية وضربتها لتقلبها على ظهرها خمس مرات إلى أن سقطت من على الجلمود..

[تنج]

[لم تتم الإصابة القاضية، لا تحتسب كهدف]

امتعضت لتعليق هاتف، فهو ما زال يفسد عليّ متعتي في التعود على هذه القوة الجديدة..

«هناك». أشار راكان إلى مخلوق آخر مشابه للسحلية السابقة وأكمل: «جلدها ثخين جدًا، عليك بعينها»..

هززت رأسي ورفعت يديّ وشكلت أصابعي كمسدس، كلما شكلتها هكذا يبتسم راكان، إنني لا ألهو، لكن هذا أقرب شيء في عقلي يساعدني لتفعيل هذه القدرة!

تمتمت: «سيكون من الرائع لو أتت بخاصية تحديد نقطة الضعف وتتبع الهدف».

[تنج]

[مرفوض، مستوى ممارستك متدنٍ]

عضضت شفتي حنقًا، ومن ثم أطلقتها... طبعًا لم تصب الهدف، فسديم قرر أن يتلافى هجمة من سمكة حجرية أخرى..

وكزه راكان ليكمل عدوه لوجهتنا...

جزيرة بغطاء شجر، تبعد عشرين مترًا عنا، تتأرجح يمينًا ويسارًا...

قفز سديم عليها.. وبدأت أجسامنا بالميل لليمين... وجه راكان سديم إلى منتصف الجزيرة.. وانطلق يشق الشجر، واختفينا داخل تجويف في جذع شجرة ضخمة، مخفي وفمؤه، استطعت بالكاد تمييزه بنظري... مساحة التجويف داخل الشجرة

تقارب العشرين مترًا مربعًا، تنتشر جذور أشجار وأغصان وشجيرات غريبة مؤثثة، زوايا ومساحة التجويف فارضة روعة عشوائيتها وصابغةً جوًا من السكون....

«نخيم هنا». قالها راكان قبل أن يقفز من على ظهر سديم...

وقفزت أنا كذلك...

غريبة! التجويف ثابت لا يتأرجح!

نظر راكن إليّ ونقر على أذنه... فهمت إشارته... ظللنا واقفين ثابتين في مكاننا.. أغمضت عينيّ لأستمع إلى الأصوات حولنا....

«المكان آمن» قلتها لراكان بعدما تأكدت من خلوها من أي صوت مشبوه أو يسبب لنا خطرًا..

هز راكان رأسه وظل يحرك أذنيه مدة، ونقر مرة أخرى على أنفه وهو يرمقني بنظرة..

دائمًا ما أنسى الروائح! ما زلت لا أتذكر الروائح! لكنه علمني خدعة «ابحثي عن رائحة غريبة مميزة عن غيرها لا تنتمي لمجموع الروائح أو الجو العام» تردد صوته في مخيلتي وطفقت أتنشق وأتشمم...

لماذا لا يأتي هاتف بخاصية إنذار للروائح؟

[تنج]

[مرفوض، مستوى ممارستك متدنٍ]

امتعضت لتعليق هاتف مرة أخرى...

تبادلت أنا وراكان النظرات وقد أعطاني إشارة الإبهام للأعلى.. هذه الإشارة على الأقل تعلمها مني واتفقنا عليها كشفرة للتأكيد على أمان أي بقعة...

تحرك راكان إلى سديم وفك قطعة فرو ثبتها عليه الليلة الماضية لتكون مثل السرج وتحمل صيدنا، فرشها على الأرض ومن ثم تربع جالسًا عليها..

نخر سديم: «سديم.. لا يريد».

- «راكان سديم لا يحب المكان».

- «ممم هذا متوقع... ففصيلته لا تأتي أبدًا إلى هنا».

طبطب راكان على الأرض بجانبه، نخر سديم، ومشى إلى المكان الذي طبطب راكان عليه، جثا واستلقى بجانب راكان الذي بدوره استند إليه، عبث راكان بالقطعة المفروشة، وأخرج باقي الأحجار التي عرفت أن اسمها هو «لب القدرة»...

«نرفع قدراتنا، ومن ثم نناقش خطتنا القادمة». قالها راكان وهو ينظر إليّ، هززت رأسي موافقة، مرر راكان لي خمس قطع ملونة وابتلع الباقي، ظل جالسًا مستندًا إلى سديم مغمضًا عينيه، راقبته، بدأ العرق يتصبب على جبينه، قرونه تتموج، ما زلت أعتاد على قرونه، في كل مرة يأكل فيها لبًا تتموج قرونه... بدأ تنفسه يتسارع، صدره يصعد ويهبط بسرعة، احمر وجهه، فجأة اختفت قرونه في جمجمته وانتفض جسده، جفل سديم ونخر: «راكان.. ألم».

«لا بأس يا سديم ستمر مثل ما مرت سابقاتها» قلتها وأنا أرقب راكان بقلق..

مسح سديم أنفه برأس راكان... بعدها استكان جسد راكان.. وبدأت قرونه بالنمو كنافورة ماء... قرونه الآن ذات لون بني محمرة الأطراف معلنة انتهاء عملية رفع القدرات ونجاحها....

كل جسم تختلف استجابته لاستقبال لب القدرات.. لا أصدق أن راكان جازف بحياته لرفع قدراته من خلال هذه الطريقة! ما زلت أتذكر أول مرة واقشعر جسدي، لولا هاتف لكان من الممكن لراكان أن يلاقي حتفه! نفضت هذه الفكرة التي أرعبتني أيضًا من

تفكيري!

«هاتف، بأي واحد أبدأ؟».

[تنج]

[الأخضر فالأبيض فالأزرق فالأحمر فالأسود]

بلعت أول واحدة.. انتظرت خمس دقائق حتى أشعر بالحرارة أو البرودة في معدتي.. وبدأت أبلعهم واحدًا تلو الآخر..

عندما انتهيت، أغمضت عينيّ من غير إرادة مني وذهبت في سبات....

انتبهت على هز أحدهم لجسدي.. «قليلًا بعد.. أريد أن أنام قليلًا بعد». قلتها معترضة...

استمر الهز بعنف قليلًا.. غريبة! أمي بالعادة تدغدغني.. أهذا نادر أم أريام؟!

فتحت عينيّ مقطبة، وبعدها جلست فزعة.. رأس بلا جسد كان يطفو أمامي! رأس القزم!

فجأة ظهرت يد القزم من العدم وقد رفعها لأرى باقي جسده مختبئًا داخل غرفته الفضائية العجيبة التي تعمل كطاقية إخفاء..

«هيا أتبعيني». قالها لي والتف حول نفسه مبتعدًا بخلسة...

ففرت فاهي.. نظرت إلى يميني حيث سديم وراكان ما زالا نائمين في وضعيتهما ولم يتحركا...

«لكن..»

وضع القزم إصبعه على فمه قائلًا: «لنذهب إلى الأرض».

هنا غمر قلبي شعور عارم بالفرح وعدم التصديق، ومن ثم نظرت إلى راكان وسديم مرة أخرى... أعليّ أن أترككما؟ ماذا لو ظل راكان يبحث عني؟ ماذا لو لم يعد إلى قبيلته أو فشل في مهمته بسببي؟

ونظرت مرة أخرى إلى القزم الذي كان يمشي أمامي بتؤدة..

لكن راكان... سديم....

ظللت جالسة.. حائرة.. أريد ولا أريد!..

«هل أستطيع»

قاطعني القزم قائلا: «لا.. مكانه هنا، لن يستطيع التأقلم على الأرض ولا أستطيع العودة مع شخص آخر غيرك».

سقط قلبي بين رجلي...

أشار القزم إلي لأتبعه وأكمل سيره.. وقفت.. تلفت بين القزم وبين راكان.....

أغمضت عيني... دمعت.. «أنا آسفة»...

حينها.. حينها فقط تمزق قلبي نصفين...

استيقظ راكان فجأة بانتفاضة من نومه بعد بلعه للب القدرات.... وقفز على رجليه..

«ريم!».

انقبض قلبه.. «إنها ليست هنا»..

صهل سديم وهو يقف على حوافره ويتحرك حول نفسه يبحث عن ريم..

امتطى راكان سديم وخرج من تجويف الشجرة.. جعل سديم يقفز إلى أن اعتلى أعلى غصن يحتمل وزنه في تلك الشجرة.. ونظر إلى البعيد.. إلى حيث المدينة المحرمة..

هل من المعقول أن يخطفوها؟! لكنهم لا يخرقون عهودهم! محرم عليهم الإيذاء!

إلا لو....

صمتت أفكار راكان مرعوبة من الاحتمال الذي ظهر...

«إنها تبكي» تمتم بها راكان..

وكز راكان سديم وبدأ بالتوجه إلى المدينة المحرمة بسرعة...

تمشي ريم خلف الْقزْم وهي مستترة بالغرفة التي تحجبهما عن أنظار وسمع المخلوقات العجيبة والمخيفة ودموعها تبلل خدها...

«لم تبكين؟ ظننتك ستكونين سعيدة أو حتى غاضبة!».

لم ترد ريم على الْقزْم.. لم تفهم مشاعرها.. فهي ممزقة بين هنا وهناك.. بين رغبات وأمنيات...

«حسنًا لنتسلق الجزيرة ومن ثم السلاسل».

وقفت ريم وتطلعت إلى الْقزْم وإلى المكان الذي أشار إليه..

ارتجفت..

لا ثقة لديها بما يستطيع الْقزْم فعله.. فجُل ما يقوم به هو المشي والتخفي داخل هذه الغرفة..

- «والآن ريم.. احمليني وانطلقي».

- «ماذا!».

- «هيا.. أعلم أنهم قد أعطوك قوة خاصة عندما قاموا بطقوس القبول في تلك القبيلة».

وقفت ريم غير مصدقة للْقزْم...

- «كنت تعلم بحدوث كل ذلك ولم تفعل شيئًا؟!».

- «احمليني وأوصليني للب الذي في هذا التمثال».

فغرت ريم فمها غير مصدقة لما يقوله الْقزْم،

مستغربة استمراره في رفع يده ينتظرها تنفذ أوامره بدون أي خجل أو تأنيب للضمير!

ظلت ريم واقفة ومشاعر وأفكار تتضارب في داخلها.. كبتتها.. أطبقت أسنانها غضبًا..

- «تعلق على ظهري».

- «ماذا؟!».

- «على ظهري».

ابتسم القزم وقفز متعلقًا على ظهر ريم..

واختفت الغرفة في ساعة يده...

أحنت ريم ركبتيها قليلًا...

وانطلقت ريم... بسرعة.. سرعة عالية جدًا...

تكونت حول رجليها كتل هوائية سريعة.. قفزت ريم على رأس إحدى الأسماك الحجرية لتستخدمها نقطة ارتكاز لقفزتها التالية..

[تنج]

[تم احتساب نقاط خبرة]

قفزت ريم بغضب على ثلاث أسماك حجرية أخرى مما أوصلها إلى الجزيرة التي تقع أسفل رجل التمثال اليمنى....

[تنج]

[تم احتساب نقاط خبرة]

تحوي الجزيرة أشجارًا كثيفة وبعض التلال المتناثرة، ويحيط بقاعدة السلسلة أبراج صخرية محفورة بهندسة رائعة... وطبعًا الجزيرة تتأرجح من الأمام والخلف ببطء... ثبتت ريم على وقفتها وأنصتت...

نظرت ريم إلى القزم وقالت له بجمود: «أربع زواحف على اليمين على بعد مائة متر.. اثنا عشر

مقاتلًا طيارًا يحومون على تل أمامنا على بعد خمسين مترًا... مممم.. الجزيرة بأكملها تصدر صوتًا عند حركتها».

رمق القزم ريم بابتسامة واسعة ومن ثم قفز إلى الأرض..

- «لن أفعل هذا لو كنت مكانك». قالتها للقزم بسخرية.

- «لم؟».

وفجأة انطبقت الأرض على القزم وابتلعته زهرة كبيرة حمراء اللون..

تنهدت ريم...

رفست تاج الزهرة... وسقطت...

[تنج]

[تم احتساب نقاط خبرة]

بدأت بتلات الزهرة بالذبول، وخرج القزم يزحف من داخلها يكح ويبصق رحيقها الذي كان يغطيه كاملًا..

ابتسمت ريم بشعور انتصار بأن هذا ما يحتاجه القزم كدرس للمعاناة التي مرت بها..

لكن أهي معاناة أم بركة؟!

نفضت ريم الأفكار من رأسها، ونظرت أمامها...

ابتسمت... كأنها في امتحان بدون راكان... انقبض قلبها مرة أخرى... أهذا هو العقد الروحي الذي كان يتحدث عنه؟! هذه المشاعر؟! كأن قلبها يكلمها!

«كح كح كح.... اتفو... الأبراج.. السلاسل.. اللب، ومن ثم العودة لأرض». قالها القزم من بين فوضى سعاله.

هزت ريم رأسها بعدما سمعت توجيهات القزم،

وتمتمت: «فلتبدأ اللعبة».

بدأ القزم يعبث بلحيته وأدخل يده فيها....

«تشبث بظهري». قالتها ريم..

توقف القزم عن العبث بلحيته وأخرج يده سائلًا ريم: «لماذا؟»

- «ستكون عبئًا إذا التقطك الزهر المفترس أو غدوت فريسة للوحوش».

بلع القزم ريقه، لا يمانع أن يُعتنى به مرة أخرى...

تنهد القزم... جثت ريم على ركبتيها... وتشبث القزم على ظهرها..

ابتسمت ريم قائلة: «آه.. نسيت أن أخبرك.. رحيق هذه الزهرة لاصق رائع».

«ماذاااا-؟»

اختفى صوت القزم بانطلاق ريم بسرعة وهي تتقافز حول الصخور وتتفادى الأزهار التي حاولت التقامهما...

وصلت ريم إلى الغاب تتقافز بين الأغصان وجذوع الشجر متجاوزة أو قاتلة الوحوش الزاحفة أو الأزهار المتوحشة...

[تنج]

[تم احتساب نقاط خبرة]

ضربت ريم برجليها غصن شجرة لتقفز شبه طائرة إلى التلة المطلة على الأبراج... وتوقفت ريم فجأة...

وأمامها كان واقفًا...

بشعر أبيض، ومقلتين حمراوين.. وأربعة أجنحة وقرون..

لم أره! لم أسمعه!

فجأة كان واقفًا هناك! مخلوق بشري مجنح جميل بقرون بيضاء .. كل ما فيه أبيض.. طوله متران.. عضلاته متوسطة الضخامة...وجهه طويل وملامحه حادة... له قرنان طويلان من عاج أبيض.. بيده رمح من عاج أبيض كذلك..

نظر إليّ وإلى القزم..

«أنتما مسافران أم حاجّان؟» قالها بصوته الغليظ..

«حاجّان.. نود التبرك بروح الأرض عندكم» أجابه القزم، ظللت صامتة، لم أفهم فحوى حديثهم وقررت أن أرقب الموقف بصمت..

تطلع الرجل المجنح إليّ وأجنحته ترفرف.. «قد يكون من الصعب الآن الوصول إلى روح الأرض، لكن بوسعكما القدوم إلى ساحة الحجاج».

ومد الرجل ذراعيه ليرينا درجًا أسفل منا على بعد مترين من مكان وقوفنا، هذه الدرجات تمتد إلى الأسفل داخل فُتحة في الأرض.. «هذا طريق آمن نحميه نحن الطيارين، فلتتقدما إلى المدينة المحرمة».

قالها ونظره معلق عليّ.. بلعت ريقي متوترة..

[تنج]

[يرجى الحذر، تم اكتشاف دبذبات غير مستقرة]

بدأ قلبي يقرع طبوله بمجرد سماعي لتحذير هاتف..

ما زال الطيار ماذًا يده لنتقدم..

«لنتحرك يا ريم» قالها القزم بعدما وكزني...

تقدمت بتوتر والطيار لم يزح نظره من عليّ..

وبدأت بالنزول، وتتبع خط سير الدرج الذي اقتادنا إلى نفق مضيء بالمشاعل، ظللنا نمشي فيه مدة،

والطيار يمشي خلفنا.

[تنج]

[يرجى الحذر، تم اكتشاف ذبذبات غير مستقرة]

يا إلهي، ما زال هاتف يحذرني وقلبي غير مطمئن! نظرت إلى الوراء، رأيته يحدق فيّ، سرت قشعريرة في جسدي للمرة الألف، وتذكرت كلام راكان: إنهم مسالمون.. كيف يكون مسالمًا وقلبي فزع منه!!!

ما معنى ذبذبات غير مستقرة يا هاتف؟

[تنج]

[ذبذبات صوتية وضوئية متداخلة بأطوال موجية غير مستقرة]

«اطرحها لي بطريقة أفهمها يا هاتف»..

[تنج]

[ذبذبات مؤذية لصحتك أثرها فوري، قد تفقدك الوعي وتسبب نزيفًا]

تصاعد قلقلي وخوفي بعد جملة هاتف... قدمي كأنها أوتاد ملتحمة بالأرض أرفعها بالكاد أحركها...

للأسف وصلنا إلى قاعة دائرية تزينها أعمدة من الأسفل إلى الأعلى، تشبه تلك الأعمدة الرومانية...

وقفت أتطلع إلى الطيارين الخمسة الذين في المنتصف، كلهم يشبهون الطيار الذي استقبلنا مع اختلاف طفيف في شكل القرون..

«نرحب بكم أيها الحجاج في المدينة المحرمة». قالوها بصوت واحد.

هززت رأسي محاولة كبح جماح توتري وخوفي.. قفز القزم بعدما نزع نفسه من التصاقه بظهري بصعوبة.. وبدأ يكح..

«من أي القبائل أنتم؟» سألني أحد الطيارين

الخمسة..

«لامو». قلتها بسرعة..

تبادل الطيارون النظرات، ومن ثم بدأوا بالتحرك وتطويقنا...

قلبي يحذرني... سيهجمون... لكني ظللت متسمرة في مكاني.. المخرج مغلق من ذلك الطيار الذي استقبلنا، لا أملك أي معلومات عن قدراتهم، راكان حذرني من أنهم على الرغم من أنهم مسالمون إلا أنهم مقاتلون شرسون حين تقتضي الضرورة، كل واحد منهم يضارع سرداد في القوة...

تراجعت للخلف حذرة..

«قفي» قالتها فجأة طيارة عجوز ترتدي ما يشبه لبس الكهنة ظهرت من طرف القاعة.. خل ما فيها لونه أبيض، عيناها حمراوان أيضًا، وتتكئ على عصا من عاج...

واقتربت مني..

فجأة خمسة رماح مسددة تجاهي..

«محرم عليكم سفك الدماء!» قالها القزم متوترًا مصدومًا منهم.

«لكل قاعدة شواذ» أجابته العجوز والرماح تطوقني، والطيارون باسطو أجنحتهم.. لم أفهم ما يدور حولي..

[تنج]

[يرجى الحذر، ذبذبات غير مستقرة عالية جدًا]

وبعدها سمعت الطنين في أذني، الرماح تهتز بقوة، جثوت فجأة أصرخ ألمًا، ورفعت رأسي أنظر للطيارين اللذين يرمقانني بنظرات غريبة، بعضهم يبكي!

القزم يقول شيئًا لكن لا أستطيع سماعه، قام

أحدهم بإمساكه، لكنه فجأة ظهرت له أذرع الية من لحيته وطار نحوي! والتقط جسدي...

[تنج]

[يرجى الحذر، ذبذبات غير مستقرة عالية جدًا]

«الحقوا بها، إنها تائهة، أطلقوا بوق القنص» صاحت الطيارة العجوز.

انطلق الطيارون بين راكض وطائر، والرماح تتطاير حولنا والريش يطلق كرصاص نحونا، اخترق بعض الريش جسد القزم ولامست جسده وجسدي.. لكني لم أشعر بشيء، فرأسي يتفجر ألمًا..

القزم يطير باستخدام شيء ما يلمع أسفل حذائه، يتزحلق بسرعة كبيرةً جدًا بين الممرات.. يلتف يمنة ويسرة.. يتجاوز رماحًا أخرى، يتجاوز سلاسل، أيادي، أجنحة وريشًا..

وعندها خرج القزم من الأنفاق والممرات إلى مساحة خضراء مسطحة ضخمة جدًا، وتقع أمامنا الأبراج الصخرية الضخمة التي تحيط بقاع السلسلة...

هناك المئات، بل الآلاف من الطيارين..

أُمطرت رماحًا إلى حيث أقف أنا والقزم، وفجأة اعترضها كل من لوما وسوما بمخالب سوداء كبيرة من أيديهم وأرجلهم وكأنهما تحولا إلى دوامة من المخالب بدورانهما حول نفسيهما وصدهما للرماح، ومن ثم دفعاني أنا والقزم جانبًا بقوة لنبتعد تسعة أمتار عنهما ويلتقطني القزم مرة أخرى لكي لا أرتطم بالأرض...

«اهربا» صرخ بها لوما لاهثًا..

وحينها بدأ القزم يغطيني بغرفته التي تخفينا لكن... دوى بوق آخر، وصدح المكان بأصوات...

وصرخت ملتاعة من الألم....

[تنج]

[خطر، ذبذبات غير مستقرة مدمرة]

[تنج]

[خطر، جارٍ تفعيل حفظ الوعي]

وهنا.. ظلام...

♫ طق طق ♫

انتبهت للصوت....

فتحت عينيّ المثقلتين...

ورأيته هناك... هارون... يمسح على لحيته...

«ها أنت ذا» قالها مبتسمًا..

«مرحبًا جدي هارون» قلتها وتنهدت، إلى متى سأظل أفقد الوعي!

[تنج]

[نجح الاتصال بصومعة هارون]

ابتسم هارون لي.. وأشار إلى الكأس الفخارية المملوءة بالماء لأشرب منها.. جلست وشربت منها ممتنة.. أحسست ببرودة ودفء يملأ كل خلية فيّ...

ظل هارون يمسح لحيته مبتسمًا..

مططت شفتي قائلة: «لقد فعل هاتف شيئًا جعلني أفقد الوعي».

- «هل هذا ما يضايقك؟».

- «لا أستطيع السيطرة على الأمور.. إنها تخرج عن سيطرتي.. ودائمًا، دائمًا ما أفقد الوعي».

- «أسيء ما تمرين به من مساحة لنفض غبار الصدمة وجمع شتات أفكارك؟».

- «..».

- «أليست فرصة لأخذ أنفاسك والبحث عن مخرج؟».

لم أجبه، متيقنة من صحة ما يقوله هارون في خلدي لكني لا أريد الاعتراف به!

صمت برهة وقلت: «هاتف.. لم فعلت هذا؟».

[تنج]

[للمحافظة على حياة ريم]

رفعت نظري مغرورقة بالدموع: «منذ أن دخلت هذا العالم وحياتي مهددة بالخطر».

- «ألم تمتلكي قوى وقدرات جديدة كفيلة بحمايتك؟».

صمت.. فقد نسيت أن أفعلها في خضم الموقف...

- «لقد جمد عقلي.. لم أعرف كيف أتصرف!..».

- «كيف لقواك أن تخدمك؟».

- «ماذا؟».

- «هل سألت نفسك كيف لقواك أن تخدمك؟».

طأطأت رأسي واعترفت بخجل: «لا، كنت مغترة بهذه القوى الجديدة».

فكرت بما طرحه عليّ هارون؛ ومن ثم سألت هاتف: «كيف لهذه القدرات الجديدة أن تخدمني؟».

[تنج]

[تم تفعيل استكشاف بواطن القدرات]

فغرت فاهي منصدمة: «هاتف.. لم لم تخبرني قبلُ؟!».

[تنج]

[لم تقم ريم بطرح السؤال]

«هممم.. ابنتي ريم.. معرفة السؤال هي نصف

الإجابة».

لقد سمعت هذا قبلًا، لكن أين؟

«هممم، ابنتي ريم.. طرح الأسئلة لاستكشاف أصل مشاعرنا وأفكارنا وغيرها هو الخطوة الأولى نحو وعي متين وإدراك لما حولك، الذي بدوره يسير بك إلى قرارات وتصرفات أكثر توازنًا ونظرة شمولية أوسع».

ظللت صامتة أستوعب كلامه، ثم سألته: «هل عليّ دائمًا سؤال نفسي لم أشعر بهذه المشاعر أو تراودني هذه الأفكار؟».

- «من الجيد فعل ذلك.. هذا يزيد من قدرتك على مراقبة مشاعرك».

- «مراقبة مشاعري؟!».

- «نعم.. كلما استطعت مراقبة مشاعرك ومعرفة مصدرها كان بإمكانك فهم لعبة الحاضر عن طريق تطويع مشاعرك».

ظللت أرمقه مدة..

- «لعبة؟!».

- «هممم.. بإمكانك تخيل الحياة عبارة عن لعبة لها قوانينها، وبمجرد إدراكك لهذه القوانين... ستستمتعين بها».

- «..... ».

- «ما هي مشاعرك الآن؟».

- «محتارة!».

- «هممم.. وهل سألت نفسك لم؟».

- «لا أعرف كيف أستقبل ما قلته قبل قليل».

- «هممم.. وماذا ستفعلين حيال ذلك؟».

- «أستكشف؟ أجرب؟ أبحث؟».

- «هممم.. أنت في الطريق الصحيح».

بعد أن أطرقت التفكير فيما قاله هارون، خلصت إلى أن الأسئلة تقودني إلى توجيه دفة القيادة الخاصة بمشاعري وتفكيري، لربما كلما زادت خبرتي في توجيه هذه الدفة زاد إدراكي للحاضر، وتنوعت اختياراتي ووضحت قراراتي. هي معالجة وتحليل لجذور هذه المشاعر والأفكار؛ مما ينبثق عنها أفعال متزنة، أو على الأقل واضحة في منظوري، وربما خيارات أكثر لي...

«أتعيشين في الماضي أم المستقبل؟» سؤال هارون قطع أفكاري.

صمت ومن ثم أجبته: «بل الحاضر، فالماضي فات والمستقبل لم يأت بعد».

- «جميل، وهل مشاعرك التي تشعرينها للماضي أم المستقبل؟» قالها هارون مظهرًا أسنانه البيضاء الجميلة...

- «بل الحاضر وللمستقبل».

- «لكن حقيقةً، ما هو الزمن الذي تعيشينه؟ أهو الحاضر أم المستقبل؟».

- «الحاضر».

- «جميل، فهل تعرفين أين توجهين تفكيرك الآن؟».

أطرقت صامتة مدة...

رفعت رأسي وقلت لهارون: «ما أفهمه أن الحقيقة المطلقة التي نملكها ونستطيع التعامل معها هي اللحظة الحالية، كل ما سواها هو إما ماضٍ أو مستقبل».

[تنج]

[تقدم ملحوظ في الوعي]

ابتسمت، ما أجمل أن يأتيك تأكيد أنك على

الطريق الصحيح!.. كأنها لعبة.. لعبة!

ابتسم هارون...

- «جدي هارون».

- «هممم.. نعم طفلتي».

- «أين أنت؟».

- «في صومعتي».

- «أين صومعتك؟».

- «في مكان ما في هذا الكون، المهم أننا باستطاعتنا أن نلتقي».

- «لم كنت بشريًا؟».

- «هذا مصير بني جنسي.. من يصل إلى مستوى معين من العلم واليقين يتحول إلى مخلوق عظيم.. بعض العوالم تسميه التنين، والبعض يسموننا بمسميات أخرى».

- «هل هناك غيرك؟».

- «طبعًا ابنتي.. سواء علمت بوجودهم أم لا».

- «عائلتك؟».

- «تُوفيت زوجتي منذ ألف وخمسمائة عام».

- «ماذا عن نسلك؟».

- « لا نسل لي، فلم يرزقني الله بالولد».

- «هل أنت سعيد؟ كيف تقضي هذا الوقت؟ هذا الفراغ؟».

- «هممم.. من قال إني بفراغ؟.. أنا متصل بهذا الكون.. أتفكر في عظيم صنعه.. أؤدي رسالتي فيه.. لست بوحيد... ولا أعيش بفراغ، فوقتي مملوء بالنور ومنشغل فيه».

تأثرت بحديثه، تحرك قلبي لإيمانه.. ما أجمله!

- «هل زرت الأرض يومًا؟».

- «لم أزر عالمك.. لكني زرت عوالم كثيرة».
- «متى فقدت بصرك؟».
- «لا يهم، فأنا أبصر ببصيرتي».
- «ما هي رسالتك في الحياة؟».
ابتسم هارون «لهذا قصة أخرى».
- «ماذا؟».
- «لتعودي يا بنتي».
[تنج]
[نجح الاتصال بعالم زورونا]

- «لا.. لا تؤذوها. إنها بريئة.. كيف لكم أن تقتلوا نفساً بريئة.. إنها محرمة عليكم».
- «إنها تائهة.. دمها يوقظ الخامد.. فلن تذبح.. إنما تحرق... لتعود إلى النور».
رفعت رأسي بعد استماعي لصوت القزم يجادل الكاهنة العجوز.. كان هناك مطروحًا أرضًا بين طيارين اثنين ورماح على جسده... أمامه الأجهزة التي أظن أنه كان يستخدمها.. كلها محطمة... عيناه تكسوهما الدموع..
وبجانبه مقاتلا سرداد التوأمين لوما وسوما على الأرض، كانا مضرجين بالدماء والكدمات، فاقدي الوعي...
نظر القزم إليّ عندما فتحت عينيّ: «ما كان يجب عليّ أن أتركك يا بنتي.. يا ليتني عدت بك إلى الأرض حينها!». وعض شفتيه يبكي ويهز رأسه...
لم أفهم، لم يبكي؟!
جسدي مخدر.. لم جسدي مخدر؟!

[تنج]

[وجود مادة تخدر أطرافك وتشلك عن الحركة]

نظرت حولي بتحريك عينيّ.. إني في الساحة نفسها التي حاول القزم الهرب منها بالاختفاء وفقدت الوعي حينها...

إنني مصلوبة.. آه.. هذه رائحة احتراق... حرارة أسفل قدمي... إنهم يحرقونني...

فزعت.. لكن جسدي مخدر لا أستطيع الحراك...

نظرت إلى الجمع حولي، النساء يبكين! وبعض الرجال مطأطئو رؤوسهم!

الطيار الذي قابلنا كان واقفًا مع الكاهنة العجوز.. يبعد خمسة أمتار عني: «فلتسامحينا أيتها التائهة، ولنلتقِ عندما نكون نورًا».

فزعت.. لم أنا فزعة!.. أخاف من الموت أو الحرق؟!

أستطيع الهروب؟ كيف سأستطيع إنقاذ نفسي؟

حركت عينيّ لأتطلع حولي.. بدأ الدخان يرتفع.. بدأت أكح..

«ما ذنبي؟» قلتها بصوت متقطع..

أجابتني الكاهنة: «دمك هو العامل المحفز لإيقاظ الخامد، بإيقاظه ستقضين علينا جميعًا، على كل ما هو حي.. نضحي بك لنعيش».

دمعت عيناي، قلبي بدأ يتسارع في دقاته، أخلمْ أنا أعيشه؟! أليس الخامد هو الاسم الذي قرأته في تلك الرسائل؟! أليس هو جزء من اللغز الثاني؟!

بدأ الدخان بالدخول في عينيّ وأنفي... بدأت أكح.. أريد هواء... أريد العيش... لي الحق في العيش... هواء..

آه هواء..

أغمضت عيني...

حركت إرادتي إلى رجلاي.. وبكامل ما أوتيت من إرادة أحسست بذلك التيار من القدرة الذي غمر قدمي.. حسنًا، قد قررت أن أعيش وأخرج من هذا المأزق بأنني سأحرق الأخضر واليابس الان..

قررتها في نفسي، وصرخت فجأة مع تكون دوامتين هوائيتين قويتين تحت رجلي، بعثرت الحطب والنار... زدت من سرعتهما... القيود التي تقيدني مصنوعة من لحاء الشجر قطعتها بتيار هوائي سريع..

«فعلتها». قلتها عندما تحررت.. وسقط جسدي لبرهة، لا حيلة لي لتحريكه لكني حركت الدوامات الهوائية مرة أخرى لأطير وأندفع بقوة نحو الفَزم، التقطت الفَزم بأسناني من بين الطيارين وطرت.. كل ذلك حدث في أقل من عشر ثوانٍ..

استطاع الطيارون بالكاد استيعاب ما حدث.. وبدأوا باللحاق بي... صرخت بين أسناني مرة أخرى أرقب التمثال.. أرقب وجهتنا... ووضعت كل قواي للوصول هناك.. حاولت تفادي الارتطام بالأجساد والأرض والأسلحة.. ارتقيت السلسلة وما زلت أدفع الهواء برجلي لأطير متزحلقة عليها....

سمعت صراخهم.. سمعت نواحهم.. نواح؟!

فلأركز على الهدف..

«أنت بخير؟ ريم طفلتي». قالها الفَزم وهو يطوق يديه حول رقبتي ويثبت نفسه...

«حمدًا لله» قالها الفَزم بين دموعه..

تركت قميصه من بين أسناني الدامية وأجبته: «نعم.. لكن بمجرد وصولنا إلى البلورة.. فهو دورك.. سأكون استنفدت طاقتي حينها».

«لا تقلقي.. لا تقلقي». قالها لي القزم مؤكدًا..

مرت من جانبي طلقات من ريش.. ورماح.. تجاهلتها.. واستمررت بالانطلاق.. قلبي يدق بقوة.. رجلاي تؤلماني.. أحس أن قواي ستخور..

قطعت أربعمائة متر... ما زال أمامي مائتا متر لأصل إلى بطن التمثال حيث تقبع البلورة...

سأفعلها... مائتا متر... مائة وخمسون.. مائة.. خمسون.. ها نحن ذو... وصلنا البطن المجوف للتمثال...

فعلت دفقات هوائية تعمل كالمكابح لكن لم أوفق في تحريكها بسبب أن جسدي ما زال مخدرًا.. تدحرجت أنا والقزم على أرضية بطن التمثال.... وانتهيت على بطني.. لا أستطيع الحراك.. أحسست بالكدمات والتسلخ الجلدي من التدحرج... نظرت إلى ما هو أمامي...

إنها ساحة دائرية في كل اتجاهاتها.. هناك ما يشبه المذبح بالقرب من الجدار في منتصف بطن التمثال، وأعلاه رأيت أغرب بلورة في حياتي... ليست دائرية ملساء... إنما هي أشبه بحجر... حجر شفاف في جوهرها دخان أسود.... اقشعر جسدي بمجر رؤيته..

رأيت القزم يركض نحوها...

أهذا ما كان راكان يريده؟

آسفة راكان لتخييب ظنك وسرقة هدف مهمتك..

♫ خش خش ♫

وقع أقدام خلفي... أحدهم واقف خلفي.. انتفضت.. من كان خلفي قد انحنى فوقي...

كل ما فيه يشبه الطيارين.. إلا عينيه.. كانتا سوداوين كاملتين مخيفتين كأنها تبتلعك.. راكان يطلق عليهم الطيارين الظلاميين... مجرمين

وأشرارًا... دمويين...

ابتسم... أسنان سوداء.. قلبي يحثني على النهوض والهرب.. قواي خارت... انتفضت عندما رأيت جسد القزم يطير فجأة ويرتطم بالمذبح أكثر من مرة.. وسقط أسفل منه... لكن لا يوجد شيء فعل به هذا! لم أر من فعل به هذا!

فجأة انتبهت إلى الطيار الظلامي يحرك يده في الهواء، وهنا انتبهت إلى جسد القزم يرتطم مرة أخرى بقاعدة المذبح.. غاص قلبي...

دمه.. دمه يسيل...

اتسعت عيناي.. صرخت الارتجاجات في كل جزء مني... تنفست بقوة..

حملني الطيار الظلامي، حملني بقدرته، كنت أطفو، وعندما حملني رأيتهم، ما يقرب المائة كلهم طيارون ظلاميون، عيونهم سوداء.. كاملة السواد...

«لا.. أرجوك لا». قلتها وأنا موقنة بأنه سيؤذيني.. أغمضت عينيّ أحبس دمعة، وبعدها فتحت عيني أرقب وفد الطيارين المسالمين الذين كانوا يلاحقونني، والذين اشتبكوا في قتال مع هؤلاء الطيارين الظلاميين....

أو بالأحرى كانت مذبحة...

زاد النواح...

كيف لي أن أخرج من هذا المأزق؟!

تتطاير الأجساد، يتطاير الريش، الأسلحة تتكسر وتخترق كل شيء، القدرات المختلفة تتضارب وتتصارع.. إنها مذبحة....

هاتف..أأستطيع تفعيل أي من قدراتي؟

[تنج]

[لا، استنفدتِ قوتك كلها ولديك إصابات بليغة في

الرأس والجسد]

غاص قلبي أكثر في خوف ويأس...

راكان... سديم.. ما زلتما بعيدين...

«راكاااان... سدييييم.. أنا هنااااااااا».. أطلقت صرختين إحداهما بحلقي والأخرى بروحي....

وضعني الطيار ذو العينين السوداوين على المذبح... كسر قرنه.. نظر إليّ بابتسامة نشوة... وبدأ يطعنني....

ابتسامته لم تفارقه..

[تنج]

[خطر.. صدمة.. جارٍ تخفيف الصدمة]

وطعنة أخرى..

ابتسامته تتسع..

[تنج]

[خطر.. صدمة.. جارٍ تخفيف الصدمة]

يطعنني وأنا مذهولة.... لا حراك... عقلي لم يستوعب ما يحدث لي...

«رييييم» صرخ بها راكان.... حركت ناظري، بالكاد أراه من بعيد يشتبك مع المشتبكين.. هو وسديم.... عيناي معلقة عليهما... وصرخت عيناي حينما رأيت قرن راكان الأيسر يطير حين قطعه أحدهم من رأس راكان، ثم سديم يُطرح أرضًا... وتكالبوا عليهما، ومن ثم أرى لهبًا ينطلق بينهم.. يقف راكان مرة أخرى ينفث اللهب، ويطوحهم سديم، لكنهم تكالبوا عليهما مرة أخرى، وهنا رأيته، الرمح الذي شق كتف راكان... صرخت.. صرخت خوفًا عليه..

إنه كابوس.. إنه جحيم.. دموعي غادرتني يائسة... طعنات يمزقني بها الطيار الظلامي ذو العينين

السوداوين، ويقهقه قهقهة شيطانية....

[تنج]

[خطر. صدمة.. جارٍ تخفيف الصدمة]

بدأ الطيار الظلامي يهمهم بصوت متحشرج:

«وعندما تجتمع الأكوان، وترسم الخرائط

وتبعث الأساطير، حينها، لا مكان لكم،

ولا إرادة، إنه النداء الأخير».

طعنني طعنة أخيرة وهو يلهث....

[تنج]

[خطر. صدمة.. جارٍ تخفيف الصدمة]

مد الطيار الظلامي يده ليمسح على جروحي النازفة، ورفع يده إلى جبهتي يرسم شيئًا؛ ومن ثم اهتز المذبح، وخرج صوت صراخ وحش مخيف من البلورة التي تطفو أعلانا...

فتح الطيار الظلامي فمه صارخًا فاتحًا يديه إلى الأعلى:

«وعندما تجتمع الأكوان، ويدق ناقوس الظلام

ويستيقظ الخامد من سباته،

يفتني تابعوه، ويُسبى معادوه

ليمتد حكمه ويطفئ شمس كل أمل».

حينها.... حل الظلام.....

ظلام في ظلام....

اهتز جسدي باستغاثة ريم، وعندها انطلق سديم بأقصى سرعته يتجه إلى بطن التمثال، نتسلق السلسلة التي على يساره.. أرى الطيارين مشتبكين في قتال.. المسالمين والظلاميين..

وقفزنا إلى داخل مساحة بطن التمثال، ورأيتها هناك، يقف بجانبها قائد الطيارين الظلاميين..

«ريييييم» صرخت بكل ما أوتيت من قوة، حاولت القفز إليها، لكنهم طرحوا سديم أرضًا. صددت ضربة رمح من أحد الطيارين الظلاميين، ومن ثم أحسست بألم شديد عندما قطع رمح آخر قرني الأيسر.. جثوت على ركبتي، نظرت إلى من سدد إليّ الضربة، صددت ضربة أخرى منه، إنه نائب قائدهم. سددت لكمة إليه بيدي التي حولتها إلى منجل، لكنهم انقضوا عليّ، سبعة منهم، وضاقت ساحة العراك عليّ أنا وسديم... صهل سديم وأطلق عليهم الأشواك لتردي ثلاثة منهم عن يميني؛ مما مكنني من رفع رأسي إلى منتصفهم، ونفثت اللهيب، ونفثته مرة أخرى لأسقط أربعة منهم محترقين...

كل واحد منهم بقوة سرداد.. آه.. لو كان سرداد معي لكان هذا سهلًا!...

«آخ» قلتها ورمح اخترق كتفي، كسرته ومن ثم أكملت عراكي معهم، يجب أن أصل إليها..

سمعت صراخها، تلوى قلبي ألمًا وانفجرت غضبًا، أكيل كل أنواع الضربات محاولًا شق طريقي إليها..

«لقد فات الأوان» صرخ بها أحد الطيارين المسالمين.. «لقد أكمل الطقوس»..

وهنا، اهتز المكان كله بعنف بصراخ ذلك الوحش، بعض الظلاميين توقفوا عن القتال وسجدوا للبلورة..

وفجأة انقطعت سلسلتان كانتا متصلتين ببطن التمثال، كانتا مثبتتين أعلى سقف تجويف بطنه.. إحداهما ضربت المكان حيث كنت واقفًا مع سديم مقتنصة أرواح من كانوا واقفين من الطيارين، وأسقطتنا عن بطن التمثال.. أطلقت حبالًا من يدي

لكن لم أستطع الإمساك بشيء..

قام سديم برفس جسد التمثال وأمسكتني أسنانه واستقر واقفًا على السلسلة التي كانت تسقط... اعتدلت على ظهر سديم مباشرة، ومن بعدها قام سديم بالجري على السلسلة للأسفل؛ حيث قفز إلى إحدى الجزر بوسط ساحة الحجاج التي يتجمهر فيها الطيارون المسالمون...

ارتطم طرف السلسلة بالأرض وطرفها الاخر متعلق بجزيرة تقع أعلانا بمائتي متر، رجع سديم وقفز على السلسلة المعلقة الآن، وطفق يركض باتجاه الجزيرة ليبحث عن طريق إلى ريم...

رأيت خمسة طيارين يطيرون بمحاذاتنا متجهين للوجهة نفسها...

نظرت إليهم مرعوبًا وأنا أصرخ: «ما الذي يحدث؟!».

قالها أحد الطيارين المسالمين، وبكل يأس: «انتهى أمرنا، لقد حل الظلام، يجب علينا الهرب».

أمسكته من ثيابه وسحبته بقوة: «ما الذي يحدث؟».

أجابني بين دموعه: «لقد أيقظت الخامد».

- «من؟».

- «التائهة».

تهشم قلبي بسماع إجابة الطيار: «كيف لها؟».

خلّص الطيار المسالم ثيابه من قبضتي وانطلق طائرًا صوب الطيارين الآخرين الذين كانوا هلعين...

صراخ.. خوف.. تشتت.. رفعت رأسي أبحث عن ممر أخر لأصل إلى ريم..

لكن ما رأيته كان كابوسًا..

كابوس...

جسدي متنمل.... ألم فيه..

[تنج]

[خطر... نزيف..]

حركت رأسي.. أنظر أمامي.... أنا في مكان ما.. هناك حرارة فوق رأسي...

نظرت للأعلى..

لم أفهم ما أراه...

صخرة بلورية ضخمة.. في جوهرها دخان أسود، تتراقص عليه شحنات كهربائية بدأ يتحول للون الأحمر.. كرات حمراء تدخل إليها...

ألم في بطني... ألم في صدري...

[تنج]

[خطر... نزيف..]

ريم مستلقية على المذبح... دمها يسيل ويرتفع ليدخل البلورة... عند المذبح جسد القزم ملقى ودماء تسيل منه...

الساحة خالية.. لا أحد هنا!!

[تنج]

[خطر... نزيف..]

أغمضت ريم عينيها.. «هاتف.. أأستطيع رتق جرحي؟».

[تنج]

[لا توجد موارد كافية]

خارت قواها.... انسحب وعيها....

ظلام في ظلام...

«لا ظلام إلا وبعده نور»

♫ طق طق ♫

انتبهت للصوت....

فتحت عينيّ المثقلتين...

ورأيته هناك... هارون... يمسح على لحيته...

«ها أنت ذا» قالها مبتسمًا..

«مرحبًا جدّي هارون».

ابتسم هارون لي.. وأشار إلى الكأس الفخارية المملوءة بالماء لأشرب..

شربت منها ممتنة..

[تنج]

[نجح الاتصال بصومعة هارون]

إنها رابع مرة أشرب من هذه الكأس، لكن هذه المرة مختلفة، أحسست بالماء يتخلل كل خلاياي! أخلاياي هناك أم هنا؟!

- «طفلتي ريم.. لمَ أنت هنا؟».

- «أظن أنني أموت».

ضحك هارون...

- «أمستعجلة أنتِ؟».

- «لقد باغتونا وأسقطوا القزم، راكان وسديم يقاتلانهم».

ظل هارون مبتسمًا: «سديم؟».

نظرت إليه واعتدلت في جلستي، وبدأت أقص عليه من لحظة استيقاظي في منزل الحكيم بعد اكتمال تزامن حمضي النووي مع الحمض النووي الخاص بماريك ولقائي بسديم، ثم مغامراتنا لوجهتنا إلى المدينة المحرمة..

إلى ظهور أول طيار أمامي....

وهارون يستمع مبتسمًا وهو يمسح لحيته...

- «والآن أنا أموت.. يريدون إحياء الخامد».

- «الخامد!».

- «إنه تمثال ببلورة صخرية كبيرة ذات قطر بخمسة أمتار، يحوي جوهره سحابة سوداء.. لكن البلورة تسحب دمي وتتحول للون الأحمر».

تمتم هارون: «هممم.. ستكون مشكلة لو صحا بعد هذه القرون».

بدأت بتدوير إصبعي الإبهام حول بعضهما، وطأطأت رأسي قائلة: «هل أموت تاركة كل شيء ورائي؟!».

أجابني هارون: «الوقت ما زال مبكرًا لذلك».

رفعت رأسي مستغربة سائلة: «وكيف تعرف ذلك؟».

ابتسم هارون قائلًا: «إلى اللقاء ابنتي».

[تنج]

[نجح الاتصال بعالم زورونا]

خطوة نور..

اقترب مني بقناعه الأبيض وعباءته البيضاء.. قرونه مألوفة... قرون ظباء متجمعة مع بعضها كالتاج..

«ريم استيقظي».

«لكني مستيقظة!» قلتها حانقة! لحظة... لم يخرج صوتي! كيف أرى ولا أرى! وكيف لا أشعر بالألم مكان الطعنات؟!

مرة أخرى أسمع صوته «ريم استيقظي».

وحينها فتحت عيني... نظرت إلى قناعه الخالي من الملامح وعباءته...

«م...من أنت؟». قلتها خائفة.

تأفف الرجل ونهض بي حاملًا إياي، واتجه إلى حافة جلمود ما يرمق أسفلها... ونظرت...

ارتعبت.. الجزر المتأرجحة تتصادم ببعض.. التمثال يتحرك مزلزلًا كل ما حوله.. يجر السلاسل ويطوح بالجزر بعيدًا أو يصدمها ببعض.. شلالات الماء تحولت حممًا بركانية وأبخرة رمادية تتصاعد تكون سحبًا كست المشهد بلون مخيف...

القنوات المحفورة في التمثال امتلأت حممًا... التمثال يطلق صرخات رعب وهلاك...

يدمر كل شيء في طريقه، ينفث حممًا من فمه... يحرق كل شيء.. وحوش تهرب وتموت... طيارون وقعوا تحت ضربات التمثال ولهيبه... يتناهى إلى مسامعي صراخ ولغط...

إنه رعب... موت... كيف لهذا أن يتوقف؟!.. إنه ضخم، ضخم جدًا، فطوله يلامس السماء!!!!

- «هذا بسببك أنت».

- «ما دخلي أنا؟!». قلتها وجمد قلبي متذكرة ما قالته لي الكاهنة العجوز عندما كنت مصلوبة...

- «ريم».

- « كيف عرفت اسمي؟ من أنت؟».

تأفف صاحب القناع: «لقد أيقظت الخامد»

مرة أخرى ارتعب قلبي لهذا الاسم واختنقت بغُصة، لا أريد أن أصدق..

رفس صاحب القناع رأسًا تدحرج أمامي ساقطًا إلى الأسفل، انتبهت أنه رأس الطيار الظلامي الذي طعنني!

كنت سأسأل المقنع إذا ما كان أنقذني، ولكني شهقت، لقد لمحت راكان على ظهر سديم يجريان على إحدى السلاسل الضخمة إلى الأسفل متفاديًا ضربات من رماح الطيارين الظلاميين... متفاديًا حطام الصخور وشظايا الجزر....

اخترق رمح آخر راكان، وسقط من على ظهر سديم إلى الأسفل.. سقط عن السلسلة... سقط إلى حتفه!

«راكان!».

«لا وقت لهذا... ريم.. آسف».

قالها وضربني خلف رأسي و...

ظلام....

♫ طق طق ♫

انتبهت ريم للصوت....

فتحت عينيها المثقلتين...

ورأيته هناك... هارون... يمسح على لحيته...

«ها أنت ذا» قالها هارون مبتسمًا..

«جدي هارون».

ابتسم هارون لريم، وأشار إلى الكأس الفخارية، لكن بدل الماء كانت هنالك بلورة بحجم البندق، تشع ضوءًا أبيض...

[تنج]

[نجح الاتصال بصومعة هارون]

لم تتحرك ريم إنما بدأت تنتحب.... وقطعت نحيبها قائلة: «لقد انتهى كل شيء».

وتنتحب قائلة: «قتلتهم كلهم... الْقزم... راكان... كل من في زورونا... كلهم سيموتون بسببي».

- «حسنًا... وهل ستستمرين بالبكاء؟».

- «انتهى كل شيء».

- «هل تأكدت من موتهم؟».

- «هئ هئ....لكن راكان اخترقه رمح وسقط إلى حتفه».

- «هل تحسستِ نبضه؟».

- «لا.. ولكن يبدو...»،

- «هممم.. يبدو ظنية وليست حقيقة».

ظلت ريم ترمق هارون: «هئ هئ.. الْقزم جثته عند المذبح».

- «هل جسست نبضه؟».

- «لا.. ولكن يبدو...».

- «هممم... يبدو ظنية وليست حقيقة».

ظلت ريم ترمق هارون..

أمال هارون رأسه لليمين قائلًا: «ابنتي، أقدر أنك مررت بمصيبة قد يشيب لها الولدان، لكن ما زال هنالك أمل».

- «أي أمل وقد استيقظ الخامد وهبّ في طريقه لقتل كل شيء حي؟».

- «ابنتي.. فوق كل علم عليم».

- «ما الذي تحاول قوله؟».

- «أخبريني أنت».

- «أهناك طريقة للقضاء عليه؟».

- «نعم».

- «مستحيل! كيف لهذا أن يكون؟!».

- «لا مستحيل يا بنتي، ولا شيء صعب على الله».

- «أنت تتحدث عن معجزة!».

- «وما بها المعجزات؟».

- « ألم تختفِ بعد زمن الأنبياء؟».

- «هممم... ابنتي.. قدرة الله وإرادته في تحقيق المستحيل، وما لا يخطر على بال وإنقاذ البشر، عندما نسمع بها كقصص تحدث لغيرنا نصدقها، ولكن للأسف، ليس لدينا اليقين الكافي بتصديق إمكانية حدوثها لنا».

لجم كلام هارون لسان ريم... صمتت، ومن ثم استجمعت نفسها سائلة: «أهناك أمل؟».

- «دائمًا.. لا تقنطي من روح الله».

- «كيف؟».

- «يقينك.. يقينك أن يكون ثابتًا صحيحًا قويًا».

- «أتعني لو سألت الله أن يقضي على الخامد سيتحقق ذلك؟».

- «طبعًا ابنتي.. (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع)*».

- «أعليّ فقط أن أقولها؟».

- «نعم، لكن أتظنين قولًا يكفي؟».

صمتت ريم لفترة، ومن ثم قالت: «أظن بربي أنه قادر على تحقيق ذلك من دون شك».

- «وربك سيحققه ويرتب لك ذاك، والنية والدعاء منك، وله تحقيق ذلك بطريقته.. لكن...».

- «لكن ماذا؟».

- «علينا أن نسعى، مستعدة يا ريم؟».

- «ما ذا لو...».

قاطعها هارون قائلًا: «لا تشككي.. إن أي ذرة من الشك تزلزل اليقين وتدعك عارية أمام خذلانك لنفسك».

- «خذلاني لنفسي؟!».

- «نعم.. فبداية الموت هو تزعزع في اليقين».

اهتز كيان ريم من وقع صدمة حديث هارون، وسرحت في غيئيه.. تتوه بين مشاعرها وأفكارها..

فكرت: *علّي الاعتماد على نفسي، فأنا البطلة في قصة حياتي، علّي عقد النية والبدء في العمل مع يقين لا ينقطع. أنا أثق بهارون، فما بالي بالله! ثقتي في المخلوق ليست أقوى من ثقتي بالخالق!*

- «ما الذي علّي فعله؟».

ابتسم هارون لريم..

- «مستعدة حقًّا؟».

- «ما هو أسوأ ما قد يحدث لي؟».

- «قوليها أنت».

- «أفقد حياتي».

- «ولو فقدتها؟».

- «لا بأس بذلك؛ لأن روحي وحياتي ستكون بيد الله، مع النور، ربنا الرحيم الذي يحبنا حبًا غير مشروط، أسلم له الأمر من قبل ومن بعد».

[تنج]

[تقدم الوعي إلى الدرجة الثانية]

[تنج]

[تقدم الربط الروحي إلى الدرجة الثانية]

[تنج]

[نجح تفعيل الحماية من الدرجة الثانية]

[تنج]

[نجح ترقية الاتصال بـ(هاتف) إلى الدرجة الثانية]

[تنج]

[تم ترقية الاتصال بالأثير إلى المستوى الثالث]

«ماذا؟!». قالتها ريم مندهشة بعد سماع تنبيهات هاتف..

ابتسم هارون وأشار إلى الكأس الفخارية التي تحوي البلورة المضيئة: «جميل... أول خطوة، ابلعي هذه».

تناولت ريم البلورة المضيئة وبلعتها..

تصاعد في داخلها ذلك الشعور المألوف، ولكن لحظه تيار دافئ يغمر جسدها كله، عيناها باردتان..

نهض هارون ووقف، كان طويلًا.. طويلًا جدًا.. ربما طوله يبلغ ثلاثة أمتار!

تقدم إلى ريم.. جلس أمامها..

انتبهت ريم إلى اختفاء السلاسل كلها!

«أتسمحين لي بلمس يدك ونحرك؟».

هزت ريم رأسها بالإيجاب..

وهنا، بمجرد أن لمسها هارون سرى تيار حار غلف جسدها كله، ومن بعدها قال هارون: «لنبدأ باسم الله».

[تنج]

[تم ترقية الاتصال بالأثير إلى المستوى الرابع]
[تنج]
[تم ترقية الاتصال بالأثير إلى المستوى الخامس]
[تنج]
[تم ترقية الاتصال بالأثير إلى المستوى السادس]
[تنج]
[نجح فتح التزامن مع صومعة هارون]
وهنا.. نور....
نور على نور...

- «سرداد دعها».
- «هي سبب ذلك.. قلت لكم: إن التائهين خطر».
- «إذًا فلنوقفه».
- «هذا لا يتوقف، لا سبيل لوقفه، فلنذهب إلى خط الهجرة، لنستغل اتجاهه إلى الجنوب، لننقذ قبيلتنا».
- «لم يهاجر أحد منذ ألف عام!».
- «ليس لدينا أي وسيلة أخرى».
- «دعها.. ارمها لي».
- «لا.... ماذا لو أخذتك هي بعيدًا أيضًا؟».

حاول راكان إقناع سرداد برمي ريم إليه.... إنهما يركضان على إحدى السلاسل المملوءة ركامًا وغبارًا والمتدلية بين جزيرتين مبتعدتين عن الخامد.. الطيارون في حربهم بين المسالمين والظلاميين... وبقية الطيارين المسالمين يحاولون الهرب بأهلهم... إنها كارثة... كيف لهم أن يوقفوا هذه المصيبة التي ستقضي عليهم جميعًا؟!...

«راكان» نادت ريم راكان بصوت ضعيف...

- «لا تخافي ريم سرداد لن يمسك بسوء».

- «تبًا راكان! لا تراهن على ذلك».

هنا ابيضت عينا ريم وخرج صوت هارون: «توقف».

انتفض سرداد وألقى ريم عنه جزعًا.. وارتطم جسدها بأرضية السلسلة المعلقة، لحسن الحظ قفز راكان إليها ليلتقطها قبل أن تسقط لحتفها..

- «ريم ما بك؟».

- «راكان إنها ليست ريم! هنالك شيء... شيء مخيف».

- «دعه لي». خرج صوت هارون مرة أخرى.

- «من؟!». تساءل راكان مأخوذًا من الصدمة.

- «لا وقت الآن.. اجلب بلورة حياة وتتبع خطواتي».

- «من أين؟».

«هاه.. أخبرني شيب أنكم تخططون شيئًا وقد تحققت شكوكه.. لحسن حظكم أنا هنا ولديّ بلورة حياة».

كلٌ من سرداد وراكان تطلعا إلى رون الواقف على ظهر سديم بعد أن أنهى جملته، يتبعه كل من لوما وسوما بجسديهما المملوءين بالجراح، ومخلوق صغير ذو شعر معلق على كتف لوما...

نخر سديم وألقى رون من على ظهره، واتجه يتشمم راكان وريم، ومن ثم جفل عن ريم، وسقط خائفًا...

«ما بال حصان الحرب خاصتك؟!» قالها رون نافضًا الغبار من سقطته...

«إنه مرتعب.. مرتعب جدًا» قالها راكان وقلبه في حنجرته وهو يتطلع إلى ريم...

حك رون صلعته وتثاءب قائلًا: «سأكتفي بأنثى وخمسين وحشًا مقابل خدماتي».

نخر سرداد وضرب قرن رون وهو يراقب راكان وقد شق نحر ريم عند عظمة الترقوة بجرح طولي صغير بطول بلورة الحياة وأدخلها فيها كما أخبره الصوت...

دم ريم يتدفق.. يتحرك سديم قلقًا؛ ومن ثم غاصت البلورة داخل الجرح وحدها وأغلق الجرح على نفسه وكأنه لم يكن..

- «أووووه.. هل رأيتما ذلك؟».

- «كفى رون... هذا ليس وقتك» قالها سرداد وهو يراقب نحر ريم، البقعة التي دخلت فيها بلورة الحياة... هنالك ضوء من تحت جلدها يشع...

حل الليل منذ ساعة، لكنهم ما زالوا باستطاعتهم رؤية الخامد ونيرانه على مرمى بصرهم...

«ضعها على الأرض وابتعدوا خمسين مترًا» خرج الصوت من ريم من دون أن تتحرك شفتاها.. عيناها ما زالتا بيضاوين كلتيهما...

وضع راكان جسد ريم بتردد... وابتعدوا... انغلقت أجفان ريم...

التفت راكان ينظر إلى الخلف وهو يركض... وراقب خروج شعاع من نحر ريم إلى السماء... شعاع أضاء ظلام البقعة كلها.. التفت الخامد وراءه ينظر إلى مصدر الشعاع الذي أنار المكان كأنه شمس جديدة...

وفتح فمه ليصرخ صرخة وحشية مخيفة ثائرة...

[تنج]

[نجح الاتصال بصومعة هارون]

[تنج]

[نجح استدعاء هارون]

[تنج]

[نجح التبادل الكوني]

وكأن بوابة انفتحت تشق السماء...

وهنا خرج.. ذلك الكائن الأسطوري.. خرج من ذلك الضوء..

جسده الضخم كجبال مزجت مع بعض.. رأس تنين بأسنان منشارية، وجسد أفعواني بجلد تمساح أبيض، وأربع أرجل ضخمة، وستة أجنحة من جلده يزينها ريش أبيض ضخم منسدل كالحرير.. ذيله ضخم يستطيع به تغطية الممر بين المجلس والأبراج في قرية قبيلة لاموا! خط من الريش يمتد من وراء رأسه إلى آخر ذيله، ريش أبيض ضخم منسدل كالحرير.. أبيض كالنور... تزين مخالبه وأرجله ورقبته وزوايا أجنحته صفائح من معدن أبيض! قناع من معدن أبيض مزخرف حول رأسه، عيناه بيضاوان! كل ما فيه أبيض!

خرج الكائن الأسطوري وأطلق صرخة غاضبة على الخامد.. وانطلق...

راقب الجميع.. كل المخلوقات... كل من استطاع نظره رؤية صراع العمالقة.... راقبوا الصراع الأكثر هيبة ورعبًا مما مر عليهم في حياتهم...

الخامد ينفث الحمم ويسدد اللكمات، وهارون يطلق الشعاع ويلكمه ويخدشه بمخالبه ويضربه بذيله..

تصارعوا برقصة كالموت... ساحقين فيه كل شيء

حولهم...

سكتت الحياة خوفًا مهينًا.. يراقبون مصيرهم بين هذين المخلوقين الكارثيين...

أمسك الخامد برقبة هارون وطوحه أرضًا وجثا عليه يسدد اللكمات...

حينها ضربه هارون بشعاع من فمه وألقى بالخامد بعيدًا عنه بضربة بجناحيه...

وبعدها مباشرة انقض هارون على بطن الخامد بسرعة البرق، ونشبت أسنانه تنهش جسمه الصخري...

وهنا ابتلع هارون اللب البلوري للخامد...

وجمد الخامد فجأة... خمدت الحمم....وبدأ جسده بالتفتت والسقوط على الأرض...

رفع هارون رأسه للأعلى وأطلق صيحة انتصار....صيحة استمرت أكثر من دقيقة!

ومن ثم طار عائدًا إلى ريم... وانطلق الشعاع مرة أخرى... ودخل فيه واختفى ساحبًا معه النور الذي أتى به..

ومالت الكفة للحياة مرة أخرى..

لا ظلام إلا وبعده نور..

لا ظلام إلا وبعده نور..

[تنج]

[تم إغلاق بوابة التبادل الكوني]

[تنج]

[جارٍ احتساب نقاط الخبرة]

انطلق راكان على ظهر سديم راكضًا إلى حيث جسد ريم.. قفز إليها يتحسسها..

«ما زالت حية... ما زالت حية».

قالها لسرداد الذي وصلهم راكضًا أيضًا يتبعه رون والتوأمان..

«سأستغني عن الأنثى والخمسين وحشًا إذا ما وافقت على زواجي من أنثاكم هذه».

ضرب سرداد رون على قرنه بعد قوله هذا وطوحه أرضًا..

نظر سرداد إلى بقايا الصراع.. تغيرت تضاريس الأرض بعدها.. كل شيء هدأ فجأة.. وما زال الغبار ينقشع.. الدخان يتصاعد من كل مكان... بعض الحرائق تنتشر بعشوائية حيث لفظ الخامد لهيبه...

انتفض جسمه، يتذكر أنه خسر هذا المفتاح الكوني.. أغمض عَينيه.. عليه أن يصل بقبيلته إلى خط الهجرة في أسرع وقت...

تأوهت ريم... ووقفوا ينتظرون استعادتها لوعيها ومئات الأسئلة تتشكل لديهم..

وفجأة سحب جسد ريم المخلوق الصغير ذو الشعر يعتلي كائنًا لأول مرة يرونه في حياتهم!

«لاااااا» صرخ بها ركان وامتطى سديم يلحق القُزم.. القُزم الذي كان على مزلاج نووي صغير ومشغول بتفعيل فتح بوابة كونية مؤقتة للعودة للأرض...

فتحت ريم عينيها بإرهاق شديد، ترى صور راكان وسديم تنتفض أمامها..

«سنعبر الآن ريم» قالها القُزم...

وحينها.. آخر ما رأته... سديم يطلق أشواكه، وراكان يصرخ ماذا يده إليها محولًا إياها إلى حبال من أغصان...

عبرت ريم والقُزم بوابة انتقال كونية بيضاوية الشكل وسعتهم بالكاد.. وأغلقت فجأة بفرقعة بعد

أن دخلا بها..

تجاوز سديم المكان الذي اختفت فيه ريم، وقفز راكان يفتش عنها كالمجنون..

سرداد ورون يركضان إليه...

أمسك راكان رأسه... جثا على ركبتيه...

اقترب سرداد من راكان صامتًا، فما رآه من ظاهرة هي شيء ليس بغريب عليه...

«إنها ليست هنا». قالها راكان بصوت مبحوح وسديم يحك رأسه برأس راكان..

«إنها ليست هنا» كررها راكان، ومن ثم رفع رأسه إلى السماء المرصعة بالنجوم وأشار قائلًا:

«هي هناك..... كيف أذهب هناك؟».

صمت سرداد وهو يراقب راكان....

دفن راكان رأسه بين يديه.... وصمت...

تمتم سرداد: «راكان.. آسف».

وبعدها سقط راكان.. في ظلام...

النهاية..؟!

انتظرت أحلام حتى حلت الساعة التاسعة مساءً وخلت الجامعة من الجميع...

غادر البروفيسور يوسف المكتبة، لكن ذلك الدكتور المدعو أيمن ما زال هناك بداخلها.. تبًا!..

اقتربت من باب المكتبة.. فتحته ببطء.. أطلت إلى الداخل.. لا أحد هناك.. تقدمت ببطء أكثر.. بيدها خريطة.. خريطة للمكتبة..

دخلت أول ممر بحذر، ومن ثم توقفت.. شاهدته هناك.. رأسه على مكتبه.. نائمًا.. أمسكت أنفاسها وخطت أمام مكتبه متسللة بخفة... تجاوزت الممر الثاني..

أخرجت جهاز أسظزلاب من حقيبتها.. حركت إطار الأسظزلاب إلى اليمين.. أصدر تكة وأخرج شعاعًا خافتًا؛ ومن ثم تحركت الموجة...

تك ♫.. تغيرت حركة الموجة وتحركت أحلام حيث أشار....

في كل تكة وحركة.. أحلام تدخل ممرًا، تعبر بابًا.. استمرت ثلث ساعة على هذا المنوال إلى أن وصلت إلى بهو مكتبة ضخم..

تك تك تك تك ♫ أصدر الأسظزلاب تلك التكات المتقاربة..

تقدمت وحاولت تمريره أمام بعض الكتب ومن ثم اهتز...

وقفت في بقعة ما.. تنفست... مدت الأسظزلاب ليدخل في أحد الكتب.. أصدر تكة..

ومن ثم تسارعت التكات..

«ماذا تفعلين هنا؟» قالها الدكتور أيمن.

التفتت أحلام لتراه يحمل ما يشبه مسدسًا أنتيكا موجهًا إليها، ذلك الذي يعمل بالبارود.. وعند رجله مخلوق أزرق مستتر خلفه يرمقها بعينيه السوداوين الكبيرتين...

رفعت أحد حاجبيها..

♫ تك تك تككككككككك ♫

واهتزت القاعة..

وتباعدت المكتبات من بعضها... وانقسمت الأرضية التي يقفان عليها إلى ستة أجزاء تباعدت عن بعضها..

تحول المكان إلى أشبه ما يكون بالفضاء.. الجدران اختفت... كل شيء يطفو فيه...

«حركة واحدة منك وسأزين جبهتك برصاصة» قالها الدكتور أيمن مهددًا..

ابتسمت أحلام بسخرية..

آه... نعم.. هو نفسه..

نفس المشهد..

منذ سبع عشرة سنة.. هو من أطلق عليها النار حينها....

هو من افتعل الحريق...

«السؤال هو.. ما الذي تفعله أنت هنا؟!» قالتها أحلام مندهشة.

لم يتحرك الدكتور أيمن وظل جامدًا في مكانه وهو يرمقها بنظرات حادة، ولولا أن أيقظه المخلوق الذي وجدوه في اللغز الأول، وتبعه بطرق مختصرة إلى حيث أحلام لانتهى كل شيء...

وفجأة.. خرجت بلورة بحجم كرة السلة، مشعة بشعاع أزرق سماوي يتحرك داخلها كالموج، خرجت

من أسفل منتصف الخط الفاصل بين الأرضيات وارتفعت بينهما، وتوقفت على علو متر من مستوى الأرضيات...

وهنا انطلقت أحلام تجري إلى البلورة، وانطلق الدكتور أيمن كذلك، لكن في اتجاه آخر..

ركض إلى حيث الأسطزلاب القابع في طرف أحد الكتب..

استله من مكانه.. لكن بلا فائدة...

ضحكت أحلام وقد لمست يداها البلورة قائلة: «آه.. صحيح... يصبح عديم الفائدة بعد الاستخدام.. مفتاح للفتح.. ومفتاح آخر للقفل».

تذكر أيمن الأسطزلاب الذي وجدوه مسبقًا والقابع في مكتب البروفيسور يوسف...

تسارعت ضربات قلبه قلقًا...

«هل تساءلت يومًا كيف أن المكتبة غامضة لهذه الدرجة؟!.. كيف لها أن تحوي كل هذه الألغاز؟! كيف تتبدل وتتغير بدون أن يشعر بها أحد؟! كيف لها أن تتصل بكل تلك العوالم؟!».

صمت الدكتور أيمن، فهو لا يريدها أن تأخذ البلورة... تقدم ببطء..

«تؤ تؤ تؤ..... خطوة أخرى وستندم». قالتها أحلام..

توقف الدكتور أيمن جامدًا في مكانه... أخذ نفسًا عميقًا...

ابتسمت أحلام قائلة: «هل تساءلت يومًا ما إذا كان القزم هو من يدعي حقًا؟».

صك الدكتور أيمن أسنانه ببعض بقوة وهو يراقب أحلام...

لمست أحلام البلورة بكل نشوة: «اااه.. هذا

هو مفتاح البوابات الكونية!!! ما أصغره!! مممم... أليس من المحزن أنكم ستفقدونه بعد قليل؟.. عن طريقي».

ضحكت أحلام وهي تحاول إزاحة البلورة من مكانها ووضعها في حقيبة قماشية سوداء كانت معلقة على كتفها.. لكن سزعان ما اختفت ابتسامتها، فالبلورة لم تتحرك قيد أنملة من مكانها.. حاولت سحبها ودفعها والضغط عليها، لكن بلا فائدة!!!

انتهز الدكتور أيمن الفرصة وأطلق النار على أحلام، وأطلق النار مرة أخرى.. وانطلق يجري إلى البلورة...

أحلام سقطت متشبثة بها...

مستحيل.. لن تفشل مرة أخرى.. لا تستطيع أن تفشل.. ستموت قبل أن تخرج من المكتبة لو فشلت في مهمتها هذه.. ستموت على يد هيليوس.. لن تفشل... لن تخسر... لن تعاني وحدها ...

«إن لم أستطع الحصول عليها فاللعنة عليكم جميعًا.. اللعنة... اللعنة».

قالتها وأخرجت من حقيبتها بلورة سوداء بحجم كرة التنس يتوسط جوهرها دوامة سوداء.. وقامت بكسرها على بلورة المفتاح الكوني.. الدوامة السوداء تخترق البلورة المعلقة...

«هههه.. فلتموتوا.. كلكم.. فلتذهبوا إلى الجحيم.. لم.. لم علىّ الموتُ وحدي.. فليمت الجمييييع...».

اختفى صوت أحلام مع انفجار بلورة المفتاح الكوني.....

اتسعت عينا الدكتور أيمن زعبًا وتكور المخلوق على نفسه... لكنهما لم يستطيعا الحراك.. ابتلعتهما دوامة الانفجار في أقل من ثانية...

«وصلنا».

«شكرًا بروفيسور يوسف واعذرني على إزعاجك في هذا الوقت المتأخر... سأكون ممتنًا.. لقد تذكرت أن ريم أبقت ساعة يد إضافية لديكم وهي الذكرى التي نود الاحتفاظ بها على الأقل». قالها والد ريم وهما يترجلان من سيارة بروفيسور يوسف ويتجهان إلى المكتبة...

وعندما اقتربا من المكتبة صدرت فرقعة في ساحة المطاعم التفتوا إليها فجأة...

[تنج]

[نجح الاتصال بعالم الأرض]

«ريم» قالها والدها شاهقًا وهو يراها تقف كالمذهولة تنظر حولها وبجانبها شخص قصير جدًا ملتحٍ...

ركض إليها والدها... ولكن... حدث الانفجار...

انفجرت المكتبة وتطايرت شظاياها ضاربة جسد البروفيسور يوسف ووالد ريم.... صادمة كل العراقيل التي أمامها... بدأت صفّارات الإنذار بالعويل...

ريم مصدومة واقفة مترنحة..... تحاول استيعاب كل شيء... لقد كانت هناك والآن هنا!

أكان هذا والدها؟ إنه صوته.. ولكن لم هو هكذا الآن؟!

[تنج]

[خطر. ثغرة كونية غير مستقرة.. خطر. كارثة كونية]

لم تفهم! ما الذي يعنيه هاتف؟!

شهق القزم: «اهربي ريم اهربي».

التفتت ببلادة حيث نظر القزم معلق... دوامة سوداء تنمو متشكلة حيث المكتبة... بدأت قوة أخذت تتشكل وتسحبهم إلى الدوامة...

«إنها ثغرة كونية.. اهربي ريم». نطقها القزم وانطلق يعدو إلى مكان ما....

[تنج]

[خطر.. ثغرة كونية غير مستقرة.. خطر.. كارثة كونية]

تناهى إلى مسامعها صوت صفّارات سيارات الإنقاذ والعسكر...

بدأت ترى أشخاصًا ينتشرون حول الحطام وآخرين يحاولون سحبها والتحدث إليها...

لكنها لم تفهم شيئًا... لم تفقه منهم شيئًا...

[تنج]

[خطر.. ثغرة كونية غير مستقرة.. خطر.. كارثة كونية]

نظرها رجع إلى حيث كان والدها واقفًا!!

تحدق غير مستوعبة... تحدق إلى تلك الأشكال والألوان... ما تلك؟

إنها بقع دماء!!

إنها أشلاء!

انكتم الصراخ بحلقي وأنا أرى أشلاء أبي مبعثرة... ركضت... بكل ما أوتيت من قوة.. ركضت.. أو أنها كانت محاولات تمخضت بالفشل... وكل ذرة

في تصرخ معترضة على قوة الجذب من الثغرة الكونية...

[تنج]

[خطر. ثغرة كونية غير مستقرة.. خطر. كارثة كونية]

جثوت على ركبتي.. التقطت مسبحته التي طارت باتجاهي... مسبحته التي يكسوها دمه... دم أبي... دموعي تغادرني طائرة مبعثرة وسط الفوضى... عيناي متسعتان تود الخروج من مقلتي إليه... طارت أشلاؤه وسط الفوضى....

أنتحب صمتًا.. اختنق صوتي وبلعته الصدمة... ماتت روحي في داخلي حينها.. وضعت يديّ على الأرض وجسدي يتحرك نحو بؤرة الثغرة الكونية.. الدوامة تسحب كل شيء.. والشظايا تتطاير حولي... لمست دماءه على الأرض قبل أن تزيحني القوة الجاذبة...

[تنج]

[خطر. ثغرة كونية غير مستقرة.. خطر. كارثة كونية]

يزداد تطاير الغبار وقوة السحب.... الدماء تتحول إلى قطرات تتطاير إلى بؤرة الثغرة الكونية...

في منتصف تلك البؤرة... في مكان ما.. كانت هناك المكتبة، ولكن هذا الوحش الكوني يبتلع كل شيء... حتى أصواتنا...

هل عشتم كابوسًا يبتلع الضوء والصوت والأرواح! صراخ.. خوف.. تخبط... كابوس.. عسكر.. حيوانات.... نباتات... جمادات.. كلهم ابتلعهم هذا الكابوس...

جسدي يطير إلى بؤرة الثغرة الكونية بتسارع

كبير..

[تنج]

[خطر.. ثغرة كونية غير مستقرة.. خطر.. كارثة كونية]

رعب.. شعور الفقد.. موت بعد موت... وأنا أتجه إلى منتصف الدوامة... الثغرة اقتلعت الأرض.. اقتلعت كل شيء..

عيناي لا تصدق ما ترى.. قلبي أغلق أبوابه... عقلي فقد صوابه...

فوضى... فوضى وموت...

أهي النهاية؟... هل انتهى كل شيء؟... أغمضت عينيّ..

إلهي يا إلهي....

إ..ل... إل... هي...

.....

ماتت الأصوات...

بلعت المكتبة كل ذلك واختفت....

اختفت ريم..

ريم!

ما زالت أمامك خطوات..

يا ليتها ليست النهاية!...

[تنج]

[جار الاتصال بعالم هـ م 10]

[تنج]

[خطر..]

[تنج]

[خطر... اتصال غير ثابت]

[تنج]
[خطر... فشل الاتصال]
[تنج]
[خطر... فشل الاتصال]
[تنج]
[جارٍ الاتصال بعالم أرينا]
[تنج]
[خطر... اتصال غير ثابت]
[تنج]
[خطر... فشل الاتصال]
[ت..ن..ج]
[خ..طر... ف..ش.....صال]
(نهاية الجزء الأول)